التَّقْرِيبُ لِمَقَاصِدِ

كِتَابِ التَّوْحِيدِ

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ

رَحِمَهُ اللَّهُ

تأليف الشيخ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الحُبَيْشِيِّ

التقريب لمقاصد كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

تأليف

عبد الله بن سليمان الحبيشي

ح عبد الله بن سليمان الحبيشي، ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالله بن سليمان الحبيشي

التقريب لمقاصد كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب/ عبدالله سليمان الحبيشي -المدينة المنورة ١٤٣٠ هـ

٢٥٦ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩-٢٨٩٧-٠٠-٦٠٣٠-٩٧٨

١- التوحيد ٢- الألوهية ٣- العنوان

ديوي ٣٤٠ ١٤٣٠/٤٤٦٢

رقم الإيداع: ١٤٦٢/ ١٤٣٠

ردمك: ٩-٢٨٩٧-٠٠-٦٠٣٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

يطلب الكتاب من المؤلف

٠٥٤٣٦٢٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّقريب لِمَقاصِد كِتاب التَّوحيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فهذا تعليق وسيط على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمه الله سميته: **التقريب لمقاصد كتاب التوحيد.**

وقصدي من هذا التعليق ظاهرٌ من اسمه، وقد راعيت فيه سهولة الأسلوب، وإيضاح العبارة، واجتهدت في تقييد الفوائد، وجمع القواعد التي تُعين المسلم على فهم مقاصد هذا الكتاب المبارك، وحرصت على توثيق مصادرها في الحاشية.

وأصل هذا التعليق دروس ألقيتها في المسجد على عدد من الطلبة، فرغب بعضهم أن أقوم بطباعتها، فأعدت النظر في أصلها، وزدت فيها بعض الزيادات، وحذفت ما يُستغنى عنه.

نسأل الله العلي القدير أن يمنَّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يتقبل مني هذا العمل

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية.

وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ الآية.

وقوله: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ الآية.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. الآية[1]

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: ((**يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**)) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

---

١ . رواه الترمذي بلفظ: من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هذه الآيات، (٣٠٧٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.

قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: ((لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا)) أخرجاه في الصحيحين.[٢]

مقصود هذا الكتاب النافع جمع خصائص التوحيد، وحقوقه، ومكملاته، وما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله من الشرك الأصغر، أو البدع القادحة في التوحيد، أو المعاصي المنقصة للتوحيد، وبيان الوسائل والذرائع الموصلة إلى الشرك والمقربة منه بالبراهين القاطعة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.[٣]

وفي هذا الباب -الذي يُعد مقدمة الكتاب- مقصوده: ذكر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي فيها بيان معنى التوحيد، وهذا هو منهج المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الرجوع إلى الكتاب والسنة في بيان مسائل الدين.

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: بيان معنى التَّوْحِيد.

التوحيد في اللغة: مصدر وَحَّدَ يُوَحِّد توحيداً، أي جعله واحداً، وسُمِّي دين الإسلام توحيداً، لأن مبناه على أن الله تعالى واحدٌ في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحدٌ في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحدٌ في إلاهيته وعبادته لا نِدَّ له.

٢ . البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠/٤٩).

٣ . انظر حاشية التوحيد لابن القاسم (١١).

والتوحيد في الشرع: هو إفراد الله بالعبادة، هكذا عرفه الإمام محمد بن عبد الوهاب.[٤]

وقال بعض أهل العلم: التوحيد إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وهذا التعريف أجمع.

الوقفة الثانية: أنواع التوحيد.

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: توحيد الربوبية، ومعناه: الإقرار والاعتراف بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهذا أقرَّ به مشركو العرب، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. [الزخرف:٨٧]

الثاني: توحيد الألوهية، ومعناه: إفراد الله بالعبادة فلا يُشرك مع الله أحد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ وهذا التوحيد الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات، ومعناه: إفراد الله بما له من الأسماء والصفات.

وهذا يتضمن أمرين:

الأول: الإثبات، وذلك بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا.

والثاني: نفي المماثلة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]

٤ . انظر: الأصول الثلاثة (٣٣) بشرح العثيمين، تيسير العزيز الحميد (٢٠)

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتَعرُّفها: هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان.[٥]

الوقفة الثالثة: في بيان معنى العبادة.

العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. [يوسف: ٤٠]

والعبد يُقال على أربعة أضرب:

١. عبدٌ في حكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه نحو قوله: ((وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ)).

٢. عبدٌ بالإيجاد، وذلك ليس إلا لله، وإياه قصد بقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾. [مريم:٩٣]

٣. عبدٌ بالعبادة والطاعة لله، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾. [الفرقان:١٣]

٤. عبدٌ للدنيا وأعراضها، وهو المعتكف عليها، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ...)).[٦]

والعبادة في الشرع: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة، والظاهرة، كذا عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥ . مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٣/٣٢٤)

٦ . أخرجه البخاري (٢٨٨٦)، وانظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (٥٤٢)

الوقفة الرابعة: متى تصح العبادة؟

العبادة لا تصح إلا بشرطين:

أحدهما: إخلاص النية لله تعالى، فمن أشرك مع الله غيره فإنه ما عَبَدَ الله تعالى، ولهذا جاء في حديث معاذ حصرُ النجاةِ من العذاب لمن لم يشرك بالله تعالى فقال: ((وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).

والثاني: متابعة الرسول ﷺ، إذ أن الشأن ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادة الله تعالى كما أراد الله، وهذا لا يكون إلا بمتابعة الرسول ﷺ.

قال المقريزي الشافعي: وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلا بُعداً من الله، فإن الله إنما يُعبَد بأمره لا بالأهواء والآراء.[٧]

الوقفة الخامسة: حق العباد على الله تعالى.

ليس على الله تعالى حق واجب بالعقل، كما تزعمه المعتزلة، لكن هو سبحانه كتبه على نفسه تفضلاً وإحساناً، فهو متحقق لا محالة، لأنه قد وعدهم ذلك جزاءً لهم على توحيده ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]، وقال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وأوجب على نفسه الحق، لم يوجبه عليه مخلوق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق.[٨]

٧ . تجريد التوحيد المفيد (٨٠).

٨ . حاشية التوحيد لابن قاسم (٢٠).

بَابُ فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

وعن عُبادَة بنِ الصامِتِ ﵁ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلى ما كانَ مِنَ العمَلِ)) أخرجاه.[9]

ولهما من حديث عتبان ﵁: ((فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)).[10]

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: ((قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ؟ قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: يَا رَب! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَى! لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)). رواه ابن حبان والحاكم وصححه.[11]

وللترمذي وحسنه عن أنس ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى:

---

٩ . صحيح البخاري (٣٤٣٥) واللفظ له، صحيح مسلم (٢٨).

١٠ . صحيح البخاري (٤٢٤)، مسلم (٣٣/٢٦٣).

١١ . رواه ابن حبان في صحيحه (٦١٨٥)، والحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي (١/٧١٠/١٩٣٦). والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٢). وعزاه في المجمع لأبي يعلى، وقال: رجاله وثقوا وفيهم ضعف (١٠/٨٨/١٦٨٠٢). والحديث في إسناده دراج بن سمعان أبو السمح، وهو ضعيف. لكن يشهد له حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً ((إن نبي الله نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا اله إلا الله، فإن السماوات السبع لو وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله...)). أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٥٨٣) وصححه أحمد شاكر، قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه، قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير (٨٤).

يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)).[١٢]

مقصود هذا الباب ذكر فضل التوحيد، وآثاره الحميدة، ونتائجه الجميلة، إذ ليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.[١٣]

إن أفضل الأعمال وأوجبها وأعظمها توحيد الله تعالى، وإذا كانت هذه منزلته فإن من المعلوم أن فضائله تفوق فضائل كل عمل فاضل.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

ومن فضائله أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوباتهما .

ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة.

ومنها أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

ومن أعظم فضائله أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

ومن فضائله أنه يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه

١٢ . جامع الترمذي (٣٥٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٠): وإسناده لا بأس به، والحديث صححه الشيخ الألباني.

١٣ . انظر: القول السديد للسعدي (١٦).

ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه.

ومنها أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

ومنها أنه يخفف على العبد المكاره، ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضى بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققًا كاملاً بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمله كثيراً، وتُضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض، وعمارها من جميع خلق الله كما في حديث أبي سعيد المذكور في الترجمة وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها ولا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد .

ومن فضائل التوحيد أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف، وحصول الهداية والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

ومنها أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم.[١٤]

١٤ . القول السديد للسعدي (٧–٨).

وفي هذا الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان أعظم الظلم.

الشرك أعظم معصية عُصي الله تعالى بها، والمشرك إنما يظلم نفسه بهذا الشرك، وليس ثمة ظلم أعظم من ظلم العبد نفسه بالشرك بالله تعالى.

في الصحيحين عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، شق ذلك على المسلمين، فقالوا يا رسول الله، وأينا ذلك؟ فقال: ((**إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ؟** ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾))[١٥].

وعلى قدر توحيد العبد يكون أمنه يوم القيامة، فمن حقق التوحيد بكماله، كان له الأمن التام المطلق، أي: يأمن من العذاب فيدخل الجنة بلا عذاب ولا حساب، ومن جاء بأصل التوحيد دون تحقيقه، كان له مطلق الأمن، أي: يأمن من الخلود في النار.

الوقفة الثانية: حقيقة الشهادة، وبيان ما يُناقضها.

التوحيد يقوم على أصلين:

الأول: شهادة أن لا اله إلا الله، وحقيقتها: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله تعالى، وهذه الشهادة يجب أن تتوفر فيها ثلاثة أمور:

١. **النطق بها.**

٢. **والعلم بمعناها.**

٣. **والعمل بمقتضاها.**

---

١٥ . رواه البخاري برقم (٣٢)، ومسلم (١٢٤/١٩٧)

قال الأوزاعي رحمه الله: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة، فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان، والعمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها وتصديقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يُقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين.[١٦]

والحاصل أن لا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً، وإثباتاً واعتقد ذلك، وقبله وعمل به، وأما من قالها من غير علم بمعناها، ولا اعتقاد ولا عمل بمقتضاها من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل لله وحده فغير نافع بالإجماع، بل تكون حجة عليه.[١٧]

وجملة ما يُناقض حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله أمور:

١. جحد وجود الله تعالى، وهذا شر الكفر والإلحاد، وهو مناقض للتوحيد جملة، ومنه القول بوحدة الوجود.

٢. اعتقاد أن مع الله خالقاً، ومدبراً، ومؤثراً مستقلاً عن الله في التأثير والتدبير، وهذا هو الشرك في الربوبية.

٣. اعتقاد أن لله مثلاً في شيء من صفات كماله، كعلمه، وقدرته.

٤. تشبيه الله تعالى بخلقه في ذاته أو صفاته، أو أفعاله.

٥. اعتقاد أن أحداً من الخلق يستحق العبادة مع الله تعالى، وهذا هو الشرك في الإلهية، ولو لم يكن معه عبادة لغير الله.

---

١٦ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (٣/٩٥٦).

١٧ . حاشية التوحيد لابن قاسم (٢٥ .٢٦).

٦. عبادة أحد مع الله تعالى بنوعٍ من أنواع العبادة، وهذا هو الشرك في العبادة، سواءً اعتقد أنه ينفع ويضر، أو زعم أنه واسطة يقربه إلى الله زلفى.

٧. جحد أسماء الله وصفاته، أو شيء منها.

٨. فعل ما حكم الشرع بكفر فاعله، كالسحر والكهانة، أو سبِّ الله أو الدين أو القرآن.[١٨]

والأصل الثاني: شهادة أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، وهذه الشهادة تضمنت إثبات العبودية والرسالة للنبي ﷺ، وهذا يستلزم منا الاتباع لهديه، وتحقيق هذه الشهادة ينقضه أو ينقصه أمور:

١. جحد رسالته، أو تكذيبه، أو الشك في صدقه.

٢. جحد ختمه للنبوة، أو دعوى النبوة بعده ﷺ، أو تصديق مدعيها، أو الشك في كذبه.

٣. إنكار عموم رسالته ﷺ، كاعتقاد أنه رسول للعرب خاصة، أو أن اليهود والنصارى لا يجب عليهم اتباعه، أو أن أحداً يسعه الخروج عن شريعته كالفيلسوف.

٤. تنقص الرسول ﷺ، وعيبه في شخصه، أو في هديه وسيرته.

٥. السخرية من الرسول ﷺ، والاستهزاء به، أو بشيء مما جاء به من العقائد والشرائع.

٦. تكذيبه ﷺ في شيء مما أخبر به من الغيب مما يتعلق بالله تعالى، أو بالملائكة، والكتب والرسل، والمبدأ والمعاد، والجنة والنار.

١٨ . انظر: جواب في الإيمان ونواقضه للشيخ البراك (١٧-١٩).

٧. فعل المعاصي والمحرمات، التي تُخرج عن اتباعه إلى اتباع النفس والشيطان.

٨. الابتداع في الدين ما ليس منه. [١٩]

فمن قام بهذين الأصلين حق القيام فهو الموحد، الذي بشره النبي ﷺ بقوله: ((أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)) وهذه البشرى تحتمل أمرين:

الأول: أن الله يدخله الجنة على ما كان من العمل، يعني: ولو كان له سيئات دون الشرك فإنه لا يحول بينه وبين دخول الجنة، إما من أول وهلة، وإما في النهاية ففيه فضل التوحيد وأنه يكفر الذنوب.

والاحتمال الثاني: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، أي: أنه يدخل الجنة، فتكون منزلته فيها بحسب عمله، لأن أهل الجنة يتفاوتون في منازلهم بحسب أعمالهم، فمنهم من هو في أعلى الجنة ومنهم من هو في أدناها، ومنهم من هو بين ذلك. [٢٠]

تنبيه:

أفاد حديث عتبان أن من قال: لا اله إلا الله حُرِّمَ على النار، فكيف يُجمع بينه وبين الأحاديث التي تُفيد أن بعض هذه الأمة ممن يقول: لا اله إلا الله يَدخل النار؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله: ((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ))، منسوخة.

وذهب بعضهم إلى أنها كانت قبل نزول الفرائض، والحدود. قال الحافظ ابن رجب: وهذا بعيد جداً.

---

١٩ . انظر: القول المفيد لشيخنا العثيمين (٦٧/١)، وجواب في الإيمان ونواقضه للشيخ البراك (٢٠-٢١).

٢٠ . إعانة المستفيد للشيخ الفوزان (٩٥/١)

وذهب بعض أهل العلم إلى أن تلك النصوص قد جاءت مقيدة في أحاديث أُخر، كقوله: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا**))، وفي بعضها: ((**مُسْتَيْقِنًا**))، وفي بعضها: ((**يَقُولُهَا حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ**))، وفي بعضها: ((**قَدْ ذَلَّ بِهَا لِسَانُهُ وَاطْمَأَنَّ بِهَا قَلْبُهُ**)).[٢١]

قال الشيخ الإمام عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ووجه العلماء هذا الحديث بوجهين:

١. أن هذا في حق من قالها صادقاً مخلصاً،لم يصر على سيئة أصلاً فأحكم هذه الكلمة حتى صار مؤدياً لجميع الواجبات، تاركاً لجميع المنهيات، مستقيماً على شرع الله في كل شيء.

٢. أن هذا في حق من قالها، وأتى إلى الله تائباً من خطاياه مقلعاً عن ذنوبه وسيئاته، فكل الخطايا ساقطة بهذه الكلمة.[٢٢]

٢١ . تحقيق كلمة الإخلاص للإمام ابن رجب الحنبلي (٤٦)

٢٢ . التعليق المفيد على كتاب التوحيد (٣٦)

بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾

عن حصين بن عبدالرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: ((لا رقية إلا من عين أو حُمَة)). قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ، وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُم أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**)). ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ((**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)). فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: ((**أَنْتَ مِنْهُمْ**)) ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: ((**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**)).[٢٣]

٢٣ . صحيح البخاري (٦٥٤١)، مسلم (٣٧٤/٢٢٠). قوله: ((سبقك بها عكاشة)) لأنه لم يكن عند الثاني من تلك الأحوال ما كان عند عكاشة، فلذلك لم يجب، إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضرا فيتسلسل، فسدَّ الباب بقوله ذلك، ورجح هذا شيخ الإسلام. وانظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٤٨٢/١)، والفتح لابن حجر (٤٢٠/١١)

مقصود هذا الباب بيان فضل من حقق التوحيد، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ولا شك أن توحيد هذه الفئة أعلى منزلة من توحيد الفئة السابقة التي جاءت بأصل التوحيد دون تحقيقه.

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: معنى تحقيق التوحيد.

تحقيق التوحيد معناه: تصفيته وتخليصه من الشرك والبدع والإصرار على الذنوب.

قال الحافظ ابن رجب: إن كَمُل توحيدُ العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت،أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها،ومنعه من دخول النار بالكلية.

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابة، وخشية، ورجاءً وتوكلاً؛ وحينئذ تُحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات.[٢٤]

ولا يكون تحقيق التوحيد إلا بثلاثة أمور:

١. العلم، فلا يُمكن أن تُحقق شيئاً قبل أن تعلمه.

٢. الاعتقاد، فبعد العلم يكون الاعتقاد بمقتضى ما علم.

٢٤ . جامع العلوم والحكم (٢/٤١٧).

٣. الانقياد لذلك الاعتقاد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦]

فإذا حصّل هذا وحقق التوحيد، فان الجنة مضمونة له بغير حساب ولا عذاب.[٢٥]

الوقفة الثانية: صفات من حقق التوحيد.

قال شيخ الاسلام: فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد، وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون.[٢٦]

وهذه الصفات الأربع هي:

١. لا يسترقون: لا يطلبون الرقية من الغير، والكلام عليها سيكون في باب مستقل لأن المصنف أفرد الرقية بباب مستقل.

٢. ولا يتطيرون: والطيرة هي التشاؤم بالشيء.

٣. ولا يكتوون أي لا يتداوون بالكي.

٤. وعلى ربهم يتوكلون: وحقيقة التوكل على الله تعالى: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ويعلق قلبه بربه سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: اتفق على ذكر هذه الأربع معظم الروايات في حديث ابن عباس وإن كان عند البعض تقديم وتأخير.[٢٧]

٢٥ . انظر: القول المفيد لشيخنا العثيمين (٨٥/١)
٢٦ . حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (١١٧)
٢٧ . فتح الباري لابن حجر (٤١٦/١١)

وروى مسلم في صحيحه من طريق سعيد بن منصور: ((ولا يرقون))، بدل قوله: ((ولا يكتوون))؛ وهذه الرواية أنكرها شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وقال: إنها وهم من الراوي.[٢٨]

الوقفة الثالثة: عدد من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب ولا عذاب.

جاء في أحاديث أخرى تدل على الزيادة على السبعين ألف،منها:

روى أحمد والبيهقي في البعث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((**فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**)).[٢٩]

وفي الترمذي، وصححه ابن حبان عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَاب**)).[٣٠]

وفي صحيح ابن حبان عن عتبة بن عبدٍ السلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((**إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ يتبع كل ألف سبعين أَلْفًا ثُمَّ يَحْثِي بِكَفَّيْهِ ثَلاثَ حَثَيَاتٍ**))، فَكَبَّرَ عُمَرُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((**إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا الْأُوَلَ يُشَفِّعُهُمُ اللَّهُ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ أُمَّتِي أَدْنَى الْحَثَوَاتِ الْأَوَاخِرِ**)).[٣١]

٢٨ . زاد المعاد لابن القيم (٦٤/٤)، وحكم عليه الشيخ الألباني بالشذوذ كما في مختصر صحيح مسلم (١٠١/٣٧)

٢٩ . المسند (٨٦٩٢) قال ابن حجر في الفتح (٤١٨/١١): وسنده جيد.

٣٠ . جامع الترمذي (٢٤٣٧) وحسنه، وصححه الألباني، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٧٢٠٢)

٣١ . الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان(٧٢٠٣)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٨/١١): بسند جيد.

الوقفة الرابعة: التداوي بالكيِّ.

الكيُّ باب من أبواب التداوي والمعالجة، ومعلوم أن طلب العافية بالعلاج والدعاء مباح وعليه جمهور العلماء ولا يُعلم بينهم خلاف، وأنهم لا يرون بأسًا بالكي عند الحاجة إليه.[٣٢]

وقد ورد الكيّ في السنة على خمسة أنواع: أحاديث ورد فيها فعل الكي، وأحاديث تدل على عدم محبة النبي ﷺ للكي، وأحاديث فيها الثناء على من ترك التداوي بالكي، وأحاديث فيها النهي عن الكي.

ولا تعارض بين هذه الأحاديث بحمد الله تعالى، فان فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على من تركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل.

وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو على النوع الذي لا يحتاج إليه بل خوفاً من حدوث الداء.[٣٣]

تنبيه:

روى الترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**مَنِ اكْتَوَى أَوِ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ**)).[٣٤]

والجواب عن هذا الحديث هو أن الكيُّ على خمسة أضرب:

١. كيّ الصحيح لئلا يسقم، وعلى هذا حمل ابن قتيبة حديث المغيرة.

---

٣٢ . انظر: التمهيد لابن عبد البر (٣٩٣/١٥)، زاد المعاد لابن القيم (٦٦/٤)

٣٣ . انظر: زاد المعاد لابن القيم (٦٥/٤)

٣٤ . جامع الترمذي(٢٠٥٥)، صحيح ابن حبان (٦٠٥٥) قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح وصححه ابن حبان، والألباني.

٢. أن كثيراً من العرب يعظمون أمر الكيّ على الإطلاق، ويقولون إنه يحسم الداء، وإذا لم يفعل عطب صاحبه، وعلى هذا حمل الخطابي حديث المغيرة، وحمل الحافظ ابن الجوزي الحديث على كلا المعنيين.

٣. أن يكون نهى عن الكيّ في علة علم أنه لا ينجع فيها، كحال عمران، وقد كان به الناصور.

٤. كيّ الجرح إذا نغل، والعضو إذا قطع، فهذا دواء مأمور به، كما يُؤمر باتقاء الحر والبرد.

٥. استعمال الكيّ على وجه استعمال الدواء، في أمرٍ يجوز أن ينجح فيه، ويجوز ألا ينجح، كما تُستعمل أكثر الأدوية، وربما لم يُفد، وترك الكي في هذه الحالة أولى.[٣٥]

٣٥ . انظر: معالم السنن للخطابي (٢٠٢/٤)، كشف المشكل لابن الجوزي (٤٨١/١)، زاد المعاد (٣٩٣/٤)، شرح المشكاة للطيبي (٢٩٧٠/٩)

بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

وفي الحديث: ((**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**)) فَسِئِلَ عَنْهُ، فَقَال: ((**الرِّيَاءُ**)).[٣٦]

عن ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ: ((**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**)). رواه البخاري[٣٧]

ولمسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**)).[٣٨]

مقصود هذا الباب التحذير من الشرك، وبيان الوعيد الوارد فيه، ليحذره المؤمن ويتقيه.

ولنا مع هذا الباب الوقفات الآتية:

---

٣٦ . المسند (٢٤٠٣٠) من رواية محمود بن لبيد، قال المنذري: بإسناد جيد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب(١/١٢٠)، وقال الحافظ ابن حجر في البلوغ (٣٧١): إسناده حسن.

٣٧ . صحيح البخاري (٤٤٩٧). ومسلم (٩٢/١٥٠).

٣٨ . صحيح مسلم (٩٣/١٥١).

الوقفة الأولى: بيان معنى الشرك وأنواعه.

الشرك في اللغة: مصدر شَرِكتُهُ في الأمر أشْرَكُه.[٣٩]

وأما **الشرك في الشرع** فإنه ينقسم إلى قسمين: أكبر، وأصغر.

فالأول: الشرك الأكبر وهو: صَرْفُ العبدِ نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو كل قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله توحيد وإخلاص، وصرفه لغيره شرك.[٤٠]

الثاني: الشرك الأصغر، وهو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ مرتبة العبادة.[٤١]

الوقفة الثانية: خطر الإشراك بالله تعالى.

الشرك بالله تعالى أكبر الكبائر على الإطلاق، وهو أعظم ذنب عُصي الله به، ففي الصحيح عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: ((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)).

وقد تواترت النصوص في النهي عن الشرك والترهيب منه، فمنها:

١. أن المشرك حرام عليه الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾. [المائدة:٧٢]

٣٩ . انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (١٦٧)، مدارج السالكين لابن القيم (١/٣٤٨).
٤٠ . القول السديد للسعدي (٤٤).
٤١ . القول السديد للسعدي (٤٤).

٢. أن الشرك ذنب لا يُغفر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ [النساء:٤٨]
قال الإمام الطبري: وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليها، ما لم تكن شركاً بالله.[٤٢]

وما المراد بالشرك الذي لا يُغفر؟ قولان لأهل العلم في هذه المسألة:

القول الأول: أنه مطلق الشرك، فيشمل كل شرك، ولو أصغر كالحلف بغير الله، فإن الله لا يغفره، قال شيخ الإسلام تقي الدين: وقد يقال، الشرك لا يُغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن، وإن كان صاحب الشرك – أي الأصغر– يموت مسلماً، لكن شركه لا يُغفر له، بل يعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة.

قال ابن مفلح رحمه الله: وقال شيخنا: والشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر.[٤٣]

القول الثاني: أنه الشرك الأكبر، أما الشرك الأصغر فإنه تحت المشيئة أي أن حكمه حكم الكبائر.

قال العلامة العثيمين رحمه الله: وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل اختلف كلامه في هذه المسألة فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر.

وعلى كل حال فيجب الحذر من الشرك مطلقاً، لأن العموم يحتمل أن يكون داخلا فيه الأصغر، لأن قوله: ((أن يشرك))، أن وما بعدها في تأويل مصدر، تقديره: إشراكاً به، فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.[٤٤]

---

٤٢ . انظر: تفسير الطبري (٤/١٩٤)، وتفسير السعدي (١٤٦).
٤٣ . الفروع لابن مفلح (٣/٣٨٦).
٤٤ . القول المفيد للعثيمين (١/١١٠).

٣. أن الشرك سبب لدخول النار، عن ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ)) متفق عليه.[٤٥]

ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ)).[٤٦]

وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...)).[٤٧]

٤. أن الشرك أعظم الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]

٥. أن الشرك أكبر الكبائر، في الصحيحين عن أبي بكرة قال: قال النبي ﷺ: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟)) قَالَهَا ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ)).[٤٨]

وفي الصحيحين قال ﷺ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، الشِّرْكُ بِاللهِ...)).[٤٩]

والموبقة هنا الكبيرة كما ثبت في حديث أبي هريرة الذي أخرجه البزار وابن المنذر من طريقِ عمر بن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: ((الكَبَائِرُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ)).[٥٠]

---

٤٥ . صحيح البخاري (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢/١٥٠)

٤٦ . صحيح مسلم (٩٣/١٥١).

٤٧ . رواه الترمذي(٢٥٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٥١٢)

٤٨ . رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

٤٩ . رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

٥٠ . انظر فتح الباري لابن حجر (١٨٩/١٢).

٦. أن الشرك محبط للأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. [الزمر:٦٥]

٧. الشرك من الذنوب التي ليس لها كفارة، في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ...)).[٥١]

وأما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون.[٥٢]

الوقفة الثالثة: حقيقة الخوف من الشرك.

ينبغي للمؤمن أن يخاف على نفسه من الشرك ووسائله،فها هو إبراهيم عليه السلام خاف على نفسه وبنيه من الشرك فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

كان إبراهيم بن أدهم يقول: من يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم.[٥٣]

وحقيقة الخوف من الشرك تكون بعمل الآتي:

أولاً: بالاستعاذة بالله تعالى من الشرك، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ)). فَقَالَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ)).[٥٤]

---

٥١ . المسند (٨٧٢٢)، وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس، ولم يصرح بالتحديث في رواية أحمد، ولكنه صرح بالتحديث عند ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد كما قال الشيخ الألباني في الإرواء برقم (١٢٠٢).

٥٢ . شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٨٤).

٥٣ . تفسير الطبري (٧/٤٦١/٢٠٣٧).

٥٤ . أخرجه أحمد (١٩٨٣٥)

ثانياً: سؤال الله تعالى الثبات على الدين، كما كان النبي ﷺ يُكثر من قول: ((**يَا مُقلبَ القُلوبِ ثَبتْ قَلبِي عَلى دِينِك**))، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ الْقُلُوبَ لَتتَقَلَّبُ؟ قال: ((**إِنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ**)).[٥٥]

ثالثاً: العلم بالشرك ووسائله وذرائعه للسلامة منه، لا يُمكن للمكلف أن يَسلم من الشرك ووسائله إلا إذا عرفه، قال حذيفة رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه.

قال عمر رضي الله عنه: إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة،إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوَّبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية، أو نظيره، أو شر منه، أو دونه.[٥٦]

الوقفة الرابعة: الحكمة من وجود الكفر والفسوق.

مما لا شك فيه أن الله تعالى لا يحب الكفر والفسوق، وهو أيضاً أحكم الحاكمين، ومن أعظم ما يدل على حكمته أننا ندرك أن لوقوع المعاصي والكفر حكم كثيرة منها:

١. إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النار أن يملأها قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٨-١١٩]

٥٥ . أخرجه الترمذي في جامعه وقال: وهذا حديث حسن (٢١٤٠)، وصححه الألباني.
٥٦ . مدارج السالكين (١/٣٥١).

٢. ظهور حكمة الله تعالى وقدرته حيث قسم العباد إلى قسمين:طائع، وعاصي، فإن هذا التقسيم يتبين به حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الطاعة لها أهلها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، فهؤلاء أهل الطاعة. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥]. وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]. وهؤلاء أهل المعصية، ويتبين بذلك قدرته بهذا التقسيم الذي لا يقدر عليه إلا الله كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. [البقرة:٢٧٢]

٣. أن يتبين للمطيع قدر نعمة الله عليه بالطاعة إذا رأى حال أهل المعصية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾. [آل عمران:١٦٤]

٤. لجوء العبد إلى ربه بالدعاء أن يباعد بينه وبين المعصية، والدعاء عبادة لله تعالى.

٥. أن العبد إذا وقع في المعصية ومنَّ الله عليه بالتوبة ازداد إنابة إلى الله تعالى وانكسر قلبه بعد التوبة، أكمل منه قبل المعصية حيث يزول عنه الغرور والعجب،ويعرف شدة افتقاره إلى ربه.

٦. إقامة الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنه لولا المعاصي والكفر لم يكن جهاد ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، إلى غير ذلك من الحكم والمصالح الكثيرة، ولله في خلقه شؤون.[٥٧]

٥٧ . فتاوى الشيخ العثيمين، جمع أشرف عبد المقصود (١/٧٥).

بَابُ: اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: ((**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** - وفي رواية - **إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**)) أخرجاه.[٥٨]

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ**)) قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: ((**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**)) فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: ((**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**))، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَقَالَ: ((**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**)).[٥٩]

يدوكون: أي يخوضون.

مقصود هذا الباب بيان فضل الدعوة إلى التوحيد، وكيف تكون؟

---

٥٨ . البخاري (١٣٩٥) ومسلم (٣١/١٩).

٥٩ . صحيح البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩/٢٩).

أما فضلها فقد بينه ﷺ بقوله: ((**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يُؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً، والعدو ولياً، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان قال ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان.[٦٠]

وأما كيفيتها فإنها تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما كان ذلك شأن المرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين.

ويُشترط في الدعوة حتى يصدق عليها أنها دعوة إلى الله شرطان:

أحدهما: أن تكون خالصة لوجه الله تعالى.

والثاني: أن تكون على وفق سنة رسول الله ﷺ، وإلا كان الداعي مبتدعاً.

كما يُشترط فيمن يتولى مهمة الدعوة إلى الله تعالى أن يتحلى بثلاثة أمور:

الأول: العلم، فلا بد من العلم قبل الدعوة، قال الإمام البغوي رحمه الله: البصيرة هي المعرفة التي يُميز بها بين الحق والباطل، قال بعض السلف: حقٌ على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويُذكّرون بالقرآن.[٦١]

فالآية التي ذكرها المصنف تدل دلالة واضحة على أنه يُشترط في الداعية إلى الله أن يكون على علم بما يدعو إليه، أما الجاهل فلا يصلح للدعوة. فلا بد من التزود من العلم

٦٠ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٩٢).
٦١ . معالم التنزيل للبغوي (٢/٤٥٣).

الشرعي قبل الشروع في الدعوة، فيتعلم أمور العقيدة والتوحيد، وعلم الحلال والحرام، ثم يدعو إلى ذلك.

والثاني: الرفق أثناء دعوته إلى الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ يُوصي به كثيراً ويقول: ((**مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ ، وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ**)).[٦٢]

والثالث: الحلم، فبعدما يقوم الداعية بدعوة الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فإنه يحتاج إلى الحلم حتى يصبر على الأذى الذي يصدر من الناس.

٦٢ . صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥).

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه

وقول الله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ.إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية

وقوله: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾ الآية

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ﴾ الآية

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: ((**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى الله** عَزَّوَجَلَّ)).[٦٣]

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

مقصود هذا الباب هو بيان معنى التوحيد وتفسيره من الكتاب والسنة، وما سيأتي بعد هذه الترجمة من الأبواب إنما هو شرحٌ للتوحيد وشهادة لا إله إلا الله.

والنصوص التي أوردها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تفيد أن معنى التوحيد ما تضمن الأمور الآتية:

٦٣ . صحيح مسلم (٢٣/٣٧).

١. ترك ما عليه المشركون من عبادة لغير الله تعالى، كدعاء غير الله، والاستعاذة بغير الله ونحو ذلك من أنواع شرك العبادة.

٢. البراءة من الشرك، فالتوحيد معناه أن تكفر وتبرأ من كل ما يُعبد من دون الله تعالى مع إفراد الله بالعبادة، فهذا هو التوحيد، لا مجرد الإقرار بوجود الله وملكه وخلقه لكل شيء، فإن ذلك يُقِرُّ به الكفار.

٣. تجريد العبادة لله وحده لا شريك له، فالطاعة المطلقة لله وحده، والمحبة المطلقة لله وحده، فمن أشرك مع الله غيره في التحليل والتحريم، أو أحب مع الله غيره، فإنه لم يأتِ بالتوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد.

٤. أن العبد لا يكون موحداً حتى ينطق بكلمة التوحيد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾.

وعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ((مَا هَذِهِ؟)) قال: من الواهنة. فقال: ((انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا)) رواه أحمد بسند لا بأس به.[٦٤]

وله عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعاً: ((مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ)). وفي رواية: ((مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ)).[٦٥]

---

٦٤ . ورواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي.وقال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن، ومبارك بن فضالة مختلف فيه.قال المنذري: ورواه ابن حبان أيضا بنحوه عن أبي عامر عن الحسن عن عمران، وهذه جيدة، إلا أن الحسن اختلف في سماعه من عمران. والحديث ضعفه الألباني، وذكر له علتان: الأولى: عنعنة المبارك بن فضالة، فقد كان مدلساً. الثانية: الانقطاع بين الحسن وعمران بن حصين، فإنه لم يسمع منه كما جزم بذلك ابن المديني، وأبو حاتم، وابن معين.

انظر: المسند (٢٠٢٤٢)، وابن ماجه (٣٥٣١)، وابن حبان (٦٠٥٣)، ومستدرك الحاكم (٧٥٠٢)، والترغيب (١٥٧/٤)، والسلسلة الضعيفة للألباني(١٠٢٩)

٦٥ . ظاهر قول الإمام رحمه الله: وفي رواية يوهم أن هذا حديث واحد، وليس كذلك، بل هما حديثان كما سيأتي، ولعل المصنف رحمه الله تبعَ الحافظ محمد ابن مفلح في ذلك.

أما الحديث الأول: فقد رواه أحمد كما ذكر المصنف، ورواه الحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي. و ابن حبان. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد و أبو يعلى و الطبراني ورجالهم ثقات. وقد أعل هذا الحديث بعلتين:

١ . جهالة خالد بن عبيد المعافري، قال الشيخ الألباني: فيه خالد بن عبيد المعافري لا يعرف إلا بهذه الرواية، ولم يوثقه غير ابن حبان.

٢ . وضعف مشرح بن هاعان المعافري، لينه ابن حبان وقال: يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به.

قال الحافظ ابن حجر: قال حرب عن أحمد: معروف.وقال عثمان الدارمي، عن ابن معين: ثقة وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. قال الذهبي: صدوق.وقال ابن حجر في التقريب: مقبول.

أما الحديث الثاني: فقد رواه أحمد، ولفظه، عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقيل له: يارسول الله بايعت تسعة وتركت هذا، قال: إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: ((من علق تميمة فقد أشرك)). ورواه الحاكم في مستدركه ولم يصححه، وسكت عنه الذهبي. قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات. وقال المنذري: رواة أحمد ثقات، والحديث صححه الألباني.

وقوله: ((ومن تعلق ودعة)) الودع، بالفتح والسكون: جمع ودعة، وهو شي أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، إنما نهي عنها لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين.

انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٦٦/٣)، والمسند بتحقيق أحمد شاكر (١٧٥٣٩، ١٧٥٥٧)، والمستدرك (٧٥٠١، ٧٥٠٣)، وابن حبان (٦٠٥٤)، المجمع للهيثمي (٨٣٩٨). وضعيف الترغيب الألباني (٢٠١٤)، والكامل لابن عدي (١٩٥٢)، وميزان الاعتدال (١١٧/٤)، وتهذيب

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾. [٦٦]

ومقصود هذا الباب أمران:

الأول: بيان بعض الأفعال الشركية، وهذه الأفعال قد تكون داخلة في الشرك الأكبر، أو الأصغر، وذلك بحسب اعتقاد الشخص، ومن هذه الأفعال الشركية، لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، فإن كان يعتقد أنها مؤثرة بنفسها من دون الله فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة، وهذا هو شرك الربوبية حيث اعتقد مع الله شريكاً في الخلق والتدبير، وشركاً في العبودية حيث تأله وتعلق به قلبه طمعاً ورجاءً لنفعه.

وإن كان يعتقد أنها سبب، ولكنه ليس مؤثراً بنفسه، فهذا شرك أصغر، لأنه اعتقد ما ليس بسبب سبباً.

ومن أبى إلا أن يقع في هذا النوع من الشرك، فإن النبي ﷺ قد أخبر بعاقبته فقال: ((مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ))، والمعنى يحتمل:

المعنى الأول: أنه خبر بمعنى الدعاء، أي: اللهم من تعلق تميمة، فلا تتم له أموره، ومن تعلق ودعة فلا جعله الله في دعة ولا خفف عنه ما يخافه، ولاشك أن دعاء النبي ﷺ مستجاب.

التهذيب (٤/٨١)، وتعجيل المنفعة (٢٦٢)، وصحيح الترغيب للألباني (٣٤٥٥)، والنهاية لابن الأثير (٥/١٤٧).

٦٦ . رواه ابن أبي حاتم من طريق عروة عن حذيفة ولا يعرف لعروة سماع من حذيفة، لذلك قال في النهج السديد: ضعيف. انظر: التهذيب لابن حجر (٣/٩٣)، تيسير العزيز الحميد (١١٦)، النهج السديد (٥٧).

والثاني: أنه خبر محض، أي: أن الله تعالى لا يتم له أموره، ولا يجعله في دعة وسكون وأمن، بل يعامله الله بنقيض قصد.

والأمر الثاني: التحذير من اتخاذ الأسباب التي لم يثبت أنها سبب لا شرعاً ولا كوناً، وهي في الحقيقة أسباب موهومة، كحال هذه الأصنام والأوثان لا تنفع أصحابها، لا بجلب نفع ولا بدفع ضر لأنها ليست سبباً لذلك فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي، ولا قدري، فيعتبر اتخاذه إشراكاً بالله تعالى.[٦٧]

واتخاذ الأسباب التي لم يثبت أنها سبب لا شرعاً ولا كوناً يُعتبر من الشرك الأصغر.

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان أقسام الناس في إثبات الأسباب.

الناس في إثبات الأسباب على ثلاثة أقسام:

١. من يُنكر الأسباب، وهم: كل من قال بنفي حكمة الله تعالى، كالقدرية، والجبرية، والأشعرية.

٢. من يغلو في الأسباب حتى يجعل ما ليس بسبب سبباً، وهؤلاء هم: عامة الخرافيين من الصوفية ونحوهم.

٣. من يُؤمن بالأسباب، وتأثيراتها ولكن لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله سبباً شرعياً، أو كونياً.[٦٨]

٦٧ . القول المفيد للعثيمين (١/١٦٦).
٦٨ . القول المفيد للعثيمين (١/١٥٩).

الوقفة الثانية: في بيان القواعد الشرعية في الأسباب.

لابد من معرفة القواعد الشرعية في الأسباب حتى يستقيم للعبد توحيده:

القاعدة الأولى: ألا يُجعل من الأسباب سبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً، أو قدراً.

القاعدة الثانية: ألا يعتمد العبدُ عليها، بل يعتمد على مسببها وهو الله، ومقدّرها مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

القاعدة الثالثة: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمال قدرته وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده. فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب. [٦٩]

الوقفة الثالثة: في بيان مسألة العذر بالجهل.

الجهل نوعان: جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه مما كان ناشئاً عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم، فإنه لا يعذر فيه سواء في الكفر، أو في المعاصي.

وما كان ناشئاً عن خلاف ذلك، أي: أنه لم يُهمل، ولم يفرط، ولم يقم المقتضي للتعلم، بأن كان لم يطرأ على باله أن هذا الشيء حرام فإنه يعذر فيه. [٧٠]

٦٩ . القول السديد للسعدي (٣٤).

٧٠ . انظر القول المفيد لشيخنا العثيمين (١/ ١٧٠).

وقال العلامة محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في تحقيق هذه المسألة العظيمة: الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافاً لفظياً في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع، أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع. وذلك أن الجهل بالمكفر على نوعين:

الأول: أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن ديناً يخالف ما هو عليه فهذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا، وأما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى والقول الراجح أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله عَزَّوَجَلَّ والله أعلم بما كانوا عاملين، لكننا نعلم أنه لن يدخل النار إلا بذنب لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. [الكهف:٤٩]

وإنما قلنا تجرى عليه أحكام الظاهر في الدنيا وهي أحكام الكفر، لأنه لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يعطى حكمه.

وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخرة لأنه جاء في ذلك آثار كثيرة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه طريق الهجرتين عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام في الطبقة الرابعة عشر.

النوع الثاني: أن يكون من شخص يدين بالإسلام ولكنه عاش على هذا المكفر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجرى عليه أحكام الإسلام ظاهراً، أما في الآخرة فأمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ. وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]، وقال: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان.

وأما السنة: ففي صحيح مسلم (١/١٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ** -يعني أمة الدعوة- **لَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)).

وأما كلام أهل العلم: فقال في المغني (٨/١٣١): فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم، لم يحكم بكفره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣/٢٢٩) مجموع ابن قاسم: إني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرر أن الله تعالى قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق،

ولا بمعصية، إلى أن قال: وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين إلى أن قال: والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ، لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً أ.هـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (١/٥٦) من الدرر السنية: وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره.

وفي ص (٦٦): وأما الكذب والبهتان فقولهم إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يُكَّفِر ويُقَاتِل.أهـ

وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب، والسنة، وكلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله تعالى ولطفه، ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب لله تعالى من الحقوق، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل.

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء اسمه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف

الذي نبزه به.

أما الأول فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يكفره الله تعالى فهو كمن حرم ما أحل الله، لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه.

وأما الثاني فلأنه وصف المسلم بوصف مضاد، فقال: إنه كافر، مع أنه برئ من ذلك، وحري به أن يعود وصف الكفر عليه لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**))، وفي رواية: ((**إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**))، وله من حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ، قال: ((**وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**))، يعني رجع عليه وقوله في حديث ابن عمر: ((**إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ**))-يعني في حكم الله تعالى- وكذلك قوله في حديث أبي ذر: ((**وَلَيْسَ كَذَلِكَ**)) يعني حكم الله تعالى.

وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به، لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجباً بعمله محتقراً لغيره فيكون جامعاً بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالى في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ، قال: ((**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**)).

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب، والسنة على أن هذا مكفر لئلا يفتري على الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له.

ولكن هل يشترط أن يكون عالماً بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره، أو يكفي أن يكون عالماً بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

الجواب: الظاهر الثاني، أي أن مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه لأن النبي ﷺ، أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة، ولأن الزاني المحصن العالم بتحريم الزنى يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه، وربما لو كان عالماً ما زنى.

ومن الموانع أن يكره على الكفر لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. [النحل: ١٠٦]

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف، ونحو ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥] ، وفي صحيح مسلم (٢١٠٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: ((**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**)).

ومن الموانع أيضاً أن يكون له شبهة تأويل في المكفر بحيث يظن أنه على حق، لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]، ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

قال في المغني (١٣١/٨): وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك -يعني يكون كافرًا- وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين إلى الله تعالى، إلى أن قال: وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا.

وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠/١٣) مجموع ابن القاسم: وبدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب. وفي ص (٢١٠) منه: فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم.. وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن.

وقال أيضاً (٥١٨/٢٨) من المجموع المذكور: فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين. لكنه ذكر في (٢١٧/٧): أنه لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع. وفي (٥١٨/٢٨): أن هذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره.

وفي (٣/٢٨٢) قال: والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ، بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع، لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ، بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟! فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه. إلى أن قال: وإذا كان المسلم متأولاً في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك. إلى أن قال: وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره.

والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: ((**مَا أَحَدٌ أَحَبّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ مُنْذِرِينَ**)).

والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم.[٧١]

٧١ . فتاوى أركان الإسلام (١٣٣-١٤٢).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﷺ: ((أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت)).[٧٢]

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**)) رواه أحمد وأبو داود.[٧٣]

وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً: ((**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**)) رواه أحمد والترمذي.[٧٤]

التمائم: شيء يُعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يُرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود ﷺ.

والرقي: هي التي تُسمى العزائم، وخصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((**يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**)).[٧٥]

---

٧٢ . صحيح البخاري (٣٠٠٥)، مسلم (٣١١٥/١٠٥)

٧٣ . أبو داود (٣٨٨٣)، ابن ماجه (٢٥٢٠) وصححه الألباني، وابن حبان (٦٠٦٠)، وأحمد (٣٦١٥) وحسنه أحمد شاكر.

٧٤ . أحمد (١٨٩٨٨)، والترمذي (٢٠٧٢)، ورواه للحاكم وسكت عنه (٧٥٠٣).والحديث في إسناده ابن أبي ليلى وفي حفظه شيء، قال الشيخ الألباني: لكن الحديث حسن عندي، فإن له شاهداً عن الحسن البصري مرسلاً، غاية المرام للشيخ الألباني (١٤٧)

٧٥ . أحمد(١٧١٢١)، وأبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٨٢) وصححه الألباني، والطبراني (٤٤٩١)، قال النووي في المجموع (١٣٥/٢):

وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة. رواه وكيع[٧٦]

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.[٧٧]

مقصود هذا الباب بيان الآتي:

أولاً: بيان ما جاء في الرقى والتمائم من النصوص الشرعية.

ثانياً: بيان أن الواجب على العبد أن يتوكل على ربه تعالى، ويحذر من التعلق بغير الله ﷻ، فإن من تعلق شيئاً وُكِل إليه.

والتعلق يكون بالفعل ويكون بالقول، ويكون بهما جميعاً، أي من تعلق شيئاً بقلبه، أو تعلق بقلبه، وفعله، وُكل إليه، أي: وكَله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلقت نفسه بالله، وأنزل حوائجه بالله، والتجأ بالله، وفوض أمره كله إليه كفاه كل مؤنة، وقرَّب إليه كل بعيد، ويسَّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه، واعتمد على حوله وقوته، وكَله الله إلى ذلك وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].[٧٨]

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

رواه أبو داود، والنسائي بإسناد جيد، وجود إسناده ابن مفلح في الآداب (٣/٢٨٣).

ومعنى قوله: (عقد لحيته) يفسر على ثلاثة أوجه :

١. ما كانوا يفعلونه من ذلك في الحروب في الجاهلية يعقدون لحاهم و ذلك من زي الأعاجم يفتلونها ويعقدونها.

٢. وقيل معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد وذلك من فعل أهل التوضيع والتأنيث.

٣. قال الشيخ سليمان في التيسير(١٢٥): وقال أبو زرعة ابن العراقي: والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع، فهو موافق للحديث الصحيح في النهي عن كف الشعر والثوب.انظر: معالم السنن للخطابي (١/٢٤).

٧٦ . رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٢١٧).

٧٧ . رواه ابن أبي شيبة أيضا في مصنفه (١٩٢١١).

٧٨ . تيسير العزيز الحميد (١٢٣).

الوقفة الأولى: أقسام الرقى.

الرقى والرقية هي: العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى، والصرع وغير ذلك من الآفات، وتسمى العزائم.[٧٩]

والرقى تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم يجوز، وقسم لا يجوز، وقسم في جوازه خلاف، ولما كانت الرقى على أقسام ولكل قسم حكمه،لم يجزم المؤلف بكون الرقى من الشرك، بخلاف لبس الحلقة ونحوها فإنه قد حَكَمَ أنهُ من الشرك، لأن لبسها يُعد شركاً مطلقاً.

الوقفة الثانية: حكم الرقى.

الرقية تجوز بثلاثة شروط:

أن لا تكون مما يخالف الشرع، كأن تتضمن دعاء غير الله تعالى، من استغاثة بالجن ونحو ذلك.

أن تكون ألفاظها مفهومةً ومعانيها واضحة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة كانت من جنس الرقى الممنوعة.

أن يُعتقد أنها سبب من الأسباب، لا تأثير لها إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُعتقد النفع فيها لذاتها بل فعل الراقي السبب، والله المسبب إذا شاء.[٨٠]

فإذا وقعت الرقية على خلاف هذه الشروط الثلاثة، فإنها تُحمل على قوله ﷺ: ((إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ)).

٧٩ . انظر : النهاية لابن الأثير (٢/٢٣١).

٨٠ . انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٦٣٧)، والقول المفيد للعثيمين (١/١٨٤).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمنهي من الرقى ما كان فيه شرك، أو كان يذكر مردة الشياطين، أو كان منها بغير لسان العرب، ولا يُدرى ما هو؟ ولعله يدخله سحر أو كفر فأما ما كان بالقرآن وبذكر الله عَزَّوَجَلَّ فانه جائز مستحب، فان النبي ﷺ كان ينفث على نفسه بالمعوذتين.[٨١]

الوقفة الثالثة: حكم تعليق التمائم.

التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين بزعمهم، فأبطلها الشرع، ويقال: التميمة قلادة يعلق فيها العوذ.[٨٢]

والتمائم تنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول**: أن تكون التمائم المعلقة من القرآن والأدعية المشروعة، فهذا النوع من التمائم اختلف فيه أهل العلم على أقوال ثلاثة:

القول الأول: لا تجوز التمائم مطلقاً،لا من القرآن، ولا من غيره، وهو قول عبد الله بن مسعود، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين، منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية أختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون.[٨٣]

روى ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر قال: التميمة من الإنسان والطفل شرك.

وروى أيضا عن يزيد قال: أخبرني زيد بن وهب، قال: انطلق حذيفة إلى رجل من النخع يعوده، فانطلق وانطلقت معه، فدخل عليه ودخلت معه فلمس فرأى فيه خيطاً،

٨١ . شرح السنة للبغوي (٦/٢٥٨).
٨٢ . شرح السنة للبغوي (٦/٢٥٧).
٨٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (١٢١)، معارج القبول للحكمي (٢/٦٣٧)

فأخذه فقطعه، ثم قال: لو مت وهذه في عضدك ما صليت عليك.

وروى عن مغيرة قال: قلت لإبراهيم: أُعلق في عضدي هذه الآية: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] من حمى كانت بي؟ فكره ذلك.[٨٤]

قال الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله: لا يُعلق مصحف ولا آيات منه، ولا أحاديث، ولا طلاسم، ولا عظام، فكله شرك.[٨٥]

ودليل هذا القول حديث الباب، وما في معناه، فإنه عام، ولم يُفرق بين التميمة التي من القرآن وغيرها، بخلاف الرقى فإنه فرق فيها.

القول الثاني: تجوز التمائم إذا كانت من القرآن، وأسماء الله وصفاته والأدعية النبوية، كالرقى، وحملوا النهي الوارد على ما فيه شرك من التمائم، وهذا مروي عن ابن المسيب،وعطاء، وأحمد في رواية.

واستدلوا بما رواه الترمذي أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه كان يُعلق على من لم يعقل من بنيه هذه الكلمات ((**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ**)).[٨٦]

ولكن هذا لم يثبت عنه، قال الألباني رحمه الله: فيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعنه، فلا يجوز الاحتجاج به، ولو صحَّ فموقوف عليه فلا حجة فيه.[٨٧]

الثالث: يجوز تعليق بعد نزول البلاء، أما قبله فلا، وهذا مروي عن عائشة رضي الله عنها.[٨٨]

---

٨٤ . المصنف لابن أبي شيبة (١٩٢٠٩، ١٩٢٠٦، ١٩٢١٣).

٨٥ . التعليق المفيد لابن باز (٧٢).

٨٦ . الترمذي (٣٥٢٨) وقال: حديث حسن غريب.

٨٧ . الكلم الطيب بتحقيق الألباني (٨٤).

٨٨ . المستدرك للحاكم (٨٣٤٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والراجح والعلم عند الله، هو القول بعدم جواز تعليق التمائم مطلقاً، وذلك لما يأتي:

١. عموم أحاديث النهي ولا مخصص لها.

٢. سد الذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

٣. أن ما عُلق من ذلك يكون عرضة للامتهان بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء والجماع ونحو ذلك.[٨٩]

قال حافظ حكمي رحمه الله: ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور، لاسيما في زماننا هذا فإنه إذا كان كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يُكره في وقتنا هذا، وقت الفتن والمحن، أولى وأجدر بذلك.[٩٠]

- **القسم الثاني**: أن تكون التمائم من غير القرآن، والسنة، والأدعية المعروفة، أو تتضمن محظوراً شرعياً كدعاء غير الله، أو طلاسم لا يعرف معناها فإنها محرمة، وقد تكون شركاً بحسب المحظور أو اعتقاد صاحبها.[٩١]

الوقفة الرابعة: في حكم تعليق الأوتار والأجراس على الدواب، والبهائم.

نهى النبي ﷺ عن تعليق الأجراس والأوتار على الدواب كما في حديث أبي بشير رضي الله عنه.

والظاهر أن النهي للتحريم، ويُؤكد ذلك ما جاء من الوعيد في حديث رويفع رضي الله عنه حيث تبرأ رسول الله ﷺ ممن تقلد وتراً.

٨٩ . انظر: شرح السنة للبغوي (٦/٢٥٨)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/٢٤٥)، تيسير العزيز الحميد (١٢١)، القول المفيد للعثيمين (١/٨٢).
٩٠ . معارج القبول للحكمي (٢/٦٣٨)
٩١ . انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٩/٥٨٨)، تيسير العزيز الحميد (١٢٣)، القول المفيد للعثيمين (١/١٧٨).

واختلف أهل العلم في علة هذا النهي على أقوال:

١. أنهم كانوا يقلدونها أوتار القسي لئلا تصيبها العين على زعمهم، فأمرهم بقطعها ليعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً،هذا قول مالك الفقيه. قال الحافظ ابن حجر: ويؤيده حديث عقبة بن عامر رفعه: ((مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ)) أخرجه أبو داود.

٢. أنه نهى عن تقليدها أوتار القسي لئلا تختنق عند شدة الركض، وهذا قول محمد بن الحسن الفقيه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وكلام أبي عبيد يرجحه.

٣. أنه أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس، حكاه أبو سليمان الخطابي، قال ابن حجر: وعليه يدل تبويب البخاري، وقد روى أبو داود والنسائي من حديث أم حبيبة مرفوعاً: ((لاَ تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا جَرَسٌ)).[٩٢]

قال الشوكاني رحمه الله: فانظر كيف جعل الرقى والتمائم والتولة شركاً، وما ذلك إلا لكونها مظنّة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء، وفي المحبة والبغضاء، فكيف بمن نادى غير الله، وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله، واعتقد استقلاله بالتأثير، أو اشتراكه مع الله عز وجل.[٩٣]

٩٢ . . انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٦/٦٤٢)، وآداب ابن مفلح (٣/٢٨٠)، الفتح لابن حجر (٦/١٦٥)، المنتقى للباجي(٩/٣٧٢)

٩٣ . الدر النضيد للشوكاني (٣٣).

بَابُ: مَنْ تبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ الآيات

عن أبي واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدثاء عهد بكفر! وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ! فمررنا بسدرة فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: ((**اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، **لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**)) رواه الترمذي وصححه.[٩٤]

مقصود هذا الباب التحذير من طلب البركة على وجه يُخالف ما جاءت به الشريعة.

وقد وقع الشركُ بسبب ادعاء البركة، بل وجد من أنواع الشرك الأكبر في البلاد الإسلامية ما يجعل الحليم حيراناً، حتى أن بعض مشركي هذه الأمة فاقوا أهل الجاهلية الأولى في جاهليتهم، فالمشركين إنما عبدوا تلك الأصنام رجاءَ بركتها، ولما قال بعض الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط، أنكر النبي ﷺ عليهم وبيَّن أن هذا التبرك عمل أهل الشرك، وبعض من انحرف من هذه الأمة إنما دخل عليهم الشرك من باب الغلو والتوسع في التبرك وطلب البركة.

٩٤ . الترمذي (٢١٨٠)، النسائي في الكبرى (١١٠٨٠)، المسند (٢١٥٢١)، ابن حبان (٦٥٨٨)، وحسنه الألباني.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف يبتغى الفضل في مخالفة الصواب.[٩٥]

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فهؤلاء إنما طلبوا أن يُجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة، أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح، وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى.[٩٦]

والتبرّك: مصدر تبرّك يتبرك تبركاً، وهو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته.[٩٧]

والتبرك ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تبرك مشروع، وهو التبرك بما ورد فيه النص، مع التقيد بما ورد في كيفية التبرك، كقراءة القرآن، وطلب العلم، والتعبد في الأماكن والأوقات المباركة.

القسم الثاني: تبرك ممنوع لم يأذن به الشرع، وهو أنواع:

١. التبرك بالأمكنة المباركة على غير الوارد شرعاً.

٢. التبرك ببعض الأمكنة التي لم يثبت الشرع لها فضيلة تختص بها، مثل غار حراء، وجبل عرفات

٣. التبرك بالقبور، والدعاء، والصلاة فيها، حتى لو كان قبر النبي ﷺ، فالتمسح والتبرك به أمر محرم باتفاق أهل العلم، قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال شيخنا: واتفقوا

---

٩٥ . المجموع للنووي (٨/٢٠٣).

٩٦ . الدر النضيد للشوكاني (٣٦)

٩٧ . القاموس المحيط (١٢٠٤)، جلاء الأفهام لابن القيم (١٧١)، القول المفيد للعثيمين (١/١٩١).

أنه لا يقبله، ولا يتمسح به، فإنه من الشرك. وقال: والشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر.[٩٨]

٤. التبرك بذوات الصالحين وآثارهم، ومن المعلوم أن هذا التبرك خاص بالنبي ﷺ

٥. التبرك ببعض الأمكنة المباركة على غير الهدي النبوي.

٦. التبرك ببعض الأزمنة التي لم يثبت الشرع لها خاصية على غيرها، كالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج.[٩٩]

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمَّا بعدُ: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيَّنًا، والإيضاح عنه معينًا، فقلت وبالله التوفيق:

لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة، ولا يُنقلُ عملُه عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكَّالون .[١٠٠]

٩٨ . الفروع لابن مفلح (٣/٣٨٦).

٩٩ . انظر: التبرك وأنواعه د/ناصر الجديع، التبرك المشروع والممنوع د/العلياني.

١٠٠ . انظر: كتاب التوحيد للفوزان (١٦٣).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اَللَّهِ

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ الآية.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ)) رواه مسلم.[١٠١]

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: ((دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ))، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ((مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يُجَاوِزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، قَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّب، قَالُوا: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ. قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ)) رواه أحمد.[١٠٢]

---

١٠١ . صحيح مسلم (١٩٧٨/٤٣)، وفي قوله : ((لعن الله من آوى محدثًا)) الحدث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة. والمحدَث يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول.

فمعنى المُحدِث، بالكسر: من نصر جانيا أو آواه، وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يُقتصّ منه. والمُحدَث، بالفتح: هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه، الرضا به والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقرّ فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه. انظر: النهاية لابن الأثير (٣٣٨/١)

وفي معنى منار الأرض أقوال:

١. أنها الأعلام التي تضرب على الحدود ليتميز بها الأملاك، وإنما يقصد مغيرها أن يدخل في أرض جاره، وهو الأظهر، لحديث عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله: ((لعن الله من غير تُخوم الأرض)) رواه الحاكم في مستدركه (٣٥٦/٤) وسنده حسن.

٢. أنها أعلام الحرم، وحدوده.

٣. أنها أعلام الطريق، التي يهتدي بها الناس، ليضل الناس ويتعبهم.

انظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٢٠٤/١)، النهاية لابن الأثير (١١١/٥)، فيض القدير للمناوي (٥٠٠٥/١٠).

١٠٢ . الزهد للإمام أحمد (٨٤)، البيهقي في الشعب (٧٣٤٣/٤٨٥/٥)، المصنف لابن أبي شيبة(٢٨٧٧٣)، الزهد لابن أبي عاصم (١٥/١)، الحلية لأبي نعيم (٢٦١/١) وهذا الحديث أعل بعلتين:

١. أن طارق بن شهاب لم يسمع من النبي ﷺ، قال الحافظ: رأى النبي ﷺ وهو رجل، ويقال: إنه لم يسمع منه شيئا.قال الإمام البغوي: ونزل

مقصود هذا الباب التحذير من ناقض من نواقض التوحيد ألا وهو الذبح لغير الله تعالى، وذلك أن الذبح عبادة، والعبادة لا تُصرف إلا لله تعالى.

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في حكم الذبح لغير الله تعالى.

إن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، فقوله: ﴿فَصَلِّ﴾، الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمراد: الأمر له ﷺ بالدوام على إقامة الصلوات المفروضة، ﴿وَانْحَرْ﴾، النحر: الذبح.

الكوفة.قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ليس له صحبة والحديث الذي رواه مرسل.قال الحافظ ابن حجر: إذا ثبت أنه لقي النبي فهو صحابي وهو مقبول على الراجح. وقد أخرج له النسائي عدة أحاديث، وذلك مصير منه إلى إثبات صحبته.

٢. أن الحديث من رواية الأعمش وهو مدلس وقد عنعنه.

والذي يظهر والعلم عند الله أن الحديث صحيح عن سلمان الفارسي رضى الله عنه، وله حكم الرفع. وذلك لما يأتي:

أولا: أن الحديث صحّ موقوفا عن سلمان رضى الله عنه، كما سيأتي، وله حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأمرين:

١. قوله في الحديث ((قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله ؟...)).

٢. أن هذا مما لا يقال بالرأي، ولا مجال للاجتهاد فيه، وإنما مبناه على الأثر.

ثانيا: قولهم، إن الحديث مرسل، لأن طارق لم يسمع من النبي ﷺ.

فجوابه: أنه مرسل صحابي ومراسيل الصحابة مقبولة على الصحيح من أقوال أهل العلم، كما قال الحافظ ابن حجر وغيره. قال شيخنا ابن باز: وطارق من صغار الصحابة و غالب روايته من طريق أبي موسى الأشعري فهي مرسلة صحيحة، فمرسل الصحابي صحيح.

ثالثا: قولهم، إن الأعمش مدلس وقد عنعنة، فجوابه:

أن ابن أبي شيبة رواه في مصنفه، قال: ثنا وكيع، ثنا سفيان عن مُخارق بن خليفة عن طارق بن شهاب عن سلمان موقوفاً.وهذا في غاية الصحة.

قال أبو نعيم في الحلية بعد إخراجه للحديث من طريق الأعمش: رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق، ورواه جرير بن منصور عن المنهال بن عمرو عن حيّان بن مرثد عن سلمان نحوه.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: خصَّ هاتين العبادتين بالذكر لأنهما أفضل العبادات، وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح وتنقله في أنواع العبودية.

وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العرب من الأضاحي، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.[١٠٣]

إذا ثبت أن الذبح لله عَزَّوَجَلَّ من أجل العبادات، وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.[١٠٤]

وقد جاء الوعيد في حق من ذبح لغير الله تعالى في عدة أحاديث منها:

١. اللعن، كما في قوله ﷺ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ))، وأصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السّبّ والدعاء. والحديث يحتمل معنيين:

الأول: جملة خبرية، أي أن الرسول ﷺ يخبر أن الله لعن من ذبح لغير الله.

والثاني: جملة إنشائية بلفظ الخبر، أي أنه دعاء منه ﷺ باللعنة على من ذبح لغير الله.

٢. أنه سبب لدخول النار، كما في حديث سلمان المتقدم: ((دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب)).

وقد لبس بعض خصوم عقيدة التوحيد، فزعموا أن الذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وكذا النذر لغير الله تعالى، إنما هو من المحرمات التي دون الشرك، وذلك بسبب سوء فهمهم

---

١٠٣ . انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/٧٢٩)، تفسير السعدي (٨٦٥).

١٠٤ . القول السديد (٤٤).

للنصوص الشرعية، وكلام أهل العلم.[١٠٥]

وقد قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بكشف هذا التلبيس، وبيان الحق في هذه القضية، فكتب جواباً في الرد على أحد الخصوم، حين زعم الأخير أن النذر لغير الله حرام ليس بشرك، فقال الشيخ في الرد عليه:

فدليلك قولهم: إن النذر حرام بالإجماع، فاستدللت بقولهم: حرام على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك، فكيف تدعي المعرفة؟ يا ويلك ! ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر؟! يا هذا الجاهل الجهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾.

هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه؟! يا ويلك ! في أي كتاب وجدته إذا قيل لك هذا حرام، أنه لا يكفر. فقولك: أن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذكر أنه حرام، وأما كونه كفر فيحتاج إلى دليل آخر، والدليل عليه أنه مصرح في الإقناع: أن النذر عبادة، ومعلوم أن لا إله إلا الله معناها: لا يُعبد إلا الله، فإذا كان النذر عبادة وجعلتها لغيره، كيف لا يكون مشركاً؟.[١٠٦]

١٠٥ . انظر: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية (٨-٩)

١٠٦ . مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٥/٢٢٩).

الوقفة الثانية: في صور الذبح لغير الله تعالى.

الذبح لغير الله تعالى له صور:

١. ما ذبح للأصنام، والأوثان، والجن، والصليب، والأولياء، والقبور على وجه التقرب والتعظيم.

٢. ما ذبح للحم والأكل، ولكن ذُكر عليه اسم غير الله ﷻ.

٣. ما ذبح تعظيماً للمخلوق، وتحية له عند قدومه.

٤. ما ذبح من أجل حاجة، كرفع البلاء والمرض، أو نزول المطر ونحو ذلك في مكان معين رجاء حصول المطلوب، أو رفع المكروه.

٥. ما يذبح عند نزول البيوت، أو شراء سيارة ونحو ذلك خوفاً من الجن أن تصيبه.[١٠٧]

الوقفة الثالثة: هل الأولى للإنسان أن يصبر إذا أُكره على الكفر؟ أو يوافق ظاهراً ويتأول؟

الجواب: هذه المسألة فيها تفصيل:

أولاً: أن يوافق ظاهراً وباطناً، وهذا لا يجوز، لأنه ردة.

ثانياً: أن يوافق ظاهراً لا باطناً، ولكن بقصد التخلص من الإكراه فهذا جائز.

ثالثاً: أن لا يوافق لا ظاهراً ولا باطناً ويقتل، وهذا جائز وهو من الصبر.

---

١٠٧ . انظر: شرح مسلم للنووي (١٣/١٢٠)، إعانة المستفيد للشيخ الفوزان (١/٢٣٣).

لكن أيهما أولى أن يصبر ولو قُتل، أو يُوافق ظاهراً ولا يُقتل؟

فيه تفصيل: إذا كان الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة فإن الأولى أن يوافق ظاهراً لا باطناً، لاسيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للناس مثل: صاحب المال أو العلم، وما أشبه ذلك حتى وإن لم يكن فيه مصلحة ففي بقائه على الإسلام زيادة عمل، وهو خير، وهو قد رُخص له أن يكفر ظاهراً عند الإكراه، فإن الأولى أن يتأول ويوافق ظاهراً لا باطناً.

أما إذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الإسلام فإنه يصبر، وقد يجب الصبر، لأنه من باب الصبر على الجهاد في سبيل الله، وليس من باب إبقاء النفس، ولهذا لما شكى الصحابة للنبي ﷺ ما يجدونه من مضايقة المشركين قصّ عليهم قصة الرجل فيمن كان قبلنا بأن الإنسان كان يُمشط ما بين لحمه وجلده بأمشاط الحديد ويصبر فكأنه يقول لهم اصبروا على الأذى. ولو حصل من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت موافقة للمشركين وهم قلة لحصل بذلك ضرر عظيم على الإسلام. والإمام أحمد رحمه الله في المحنة المشهورة لو وافقهم ظاهراً لحصل في ذلك مضرة على الإسلام.[١٠٨]

١٠٨ . القول المفيد لشخنا العثيمين (١/٢٢٩).

بَابُ: لاَ يُذبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وقول الله تعالى: ﴿لا تقمْ فيهِ أبداً﴾ الآية

عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟)) قَالُوا: لَا. قَالَ: ((فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟)) قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ)) رواه أبو داود وإسناده على شرطهما.[١٠٩]

مقصود هذا الباب التحذير من وسائل الشرك، وهذا من حسن صنيع المصنف رحمه الله إتباعه هذا الباب للباب الذي قبلهُ، فالذي قبلهُ من المقاصد، وهذا من الوسائل، ذاكَ من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكانَ الذي يَذبحُ فيه المشركون لآلهتهم تقربًا إليها وشركًا بالله قد صارَ مَشْعَراً من مَشاعِرِ الشرك.

فإذا ذَبحَ فيه المسلمُ ذبيحة ولو كان قصدَها لله تعالى فقد تشبهَ بالمشركين وشَاركَهم في مَشْعَرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم.[١١٠]

ووجه الدلالة من الآية على الترجمة من جهة القياس، لأنه إذا منعَ اللهُ رسولَهُ عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة، مع أنه لا يقومُ فيه إلا لله فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله، لأنها قد أسست

١٠٩ . سنن أبي داود (٣٣١٣) وصححه الحافظ في تلخيص الحبير (٣٣١/٤)

١١٠ . انظر: القول السديد للسعدي (٤٦)

على معصية الله والشرك به، يؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي.[١١١]

وعليه فإنه لا يجوز لأحدٍ عندما يزور بعض البلاد الإسلامية التي تُشيّد فيها الأضرحة على القبور أن يزوها ولو بقصد اللاطلاع والمشاهدة والسياحة.

١١١ . انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان (١٤٢)

بَابٌ: مِنَ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اَللَّهِ

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾

وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها:أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَن نذرَ أَن يُطيعَ اللهَ فليُطِعْهُ، ومَن نذرَ أَن يَعصيَ اللهَ فلا يَعْصِهِ**)).[١١٢]

مقصود هذا الباب التحذير من النذر لغير الله تعالى، لأنه من الشرك الأكبر، وهو أحد أنواع الشرك التي انتشرت في كثير من البلاد الإسلامية، كالنذر للجن والأضرحة.

والنذر عبادة، وصرف العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر، كما سبق تقرير ذلك في شرك من ذبح لغير الله تعالى.

والنذر في اصطلاح الفقهاء هو: التزامُ قُربةٍ غير لازمة بأصل الشرع.[١١٣]

وقد اختلف أهل العلم في حكم الإقدام على النذر على أربعة أقوال.

١١٢ . صحيح البخاري (٦٧٠٠).

١١٣ . انظر: شرح الموطأ للزرقاني (٣/٧٣)، الروض المربع للبهوتي (٤٥٨)

وسبب الخلاف: أن القرآن دلَّ على الثناءِ على الذين يُوفون بالنذر، وأنه من أسباب دخول الجنة، كقوله تعالى في صفة الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وفي السنة دلالة صريحة على النهي عن الإقدام على النذر.[١١٤]

والذي يظهر لي والعلم عند الله في حكم النذر أنه جائز إلا في حق من كان يغلب على ظنه عدم القدرة على الوفاء به.

١١٤ . انظر: أضواء البيان للعلامة الشنقيطي (٦٧٧/٥).

بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن:٦]

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**)) رواه مسلم.[١١٥]

مقصود هذا الباب التحذير من الاستعاذة بغير الله تعالى، وبيان أنها من الشرك، وبيان أن الواجب على العبد أن يستعيذ بالله تعالى الذي بيده الأمر كله، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

والاستعاذة: استفعال من العوذ، والعوذ هو: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧][١١٦]

فالاستعاذة هي: الالتجاء إلى الغير لدفع وقوع المكروه.

والاستعاذة نوعان: استعاذة جائزة، واستعاذة ممنوعة.

- **فالنوع الأول: الاستعاذة الجائزة، وتنقسم إلى قسمين:**

١١٥ . صحيح مسلم (٢٧٠٨/٥٤)، والترمذي (٣٤٣٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٩٥)، وابن خزيمة (٣٥٥٠)، وابن حبان (٢٦٧٥).
١١٦ . مفردات القرآن للراغب الأصفهاني(٥٩٤)

الأول: الاستعاذة بالله تعالى، وبصفاته، وهذه من أجل أنواع العبادة، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه، والاعتصام به، واعتقاد كفايته، وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، وقوله ﷺ: ((أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي))، وقوله في دعاء الألم: ((أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحاذِرُ)).

والقسم الثاني: الاستعاذة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهذا جائز، مع التوكل على الله تعالى، ودليله قوله ﷺ في الفتن: ((مَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)).[١١٧]

وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: ((فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَق بِإِبِلِه)).

وعن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأُتِي بها للنبي ﷺ فعاذت بأم سلمة.[١١٨]

- **والنوع الثاني: الاستعاذة الممنوعة.**

الاستعاذة بالأموات مطلقاً.

وهل الأصنام يطلق عليها أنها أموات؟

الجواب: نعم.

قال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢١]

قال الطبري رحمه الله: وجعلها جل ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها.[١١٩]

---

١١٧ . رواه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

١١٨ . انظر: شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ضمن مجموع فتاوى الشيخ رحمه الله (٥٩/٦).

١١٩ . تفسير الطبري (٥١١/٤)

الاستعاذة بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]

وعلى هذا يُحمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، ولهذا نهوا عن الرقى التي لا يعرف معناها، خشية أن يكون فيها شيء من ذلك.[١٢٠]

١٢٠ . انظر: تيسير العزيز الحميد (١٥٣)

بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ. وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ الآية

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾ الآيتين

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الآية

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يُؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: ((**إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ**)).[١٢١]

مقصود هذا الباب التحذير من الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غير الله لأن ذلك من الشرك المنافي لأصل التوحيد.

والمقصود بالاستغاثة هنا الاستغاثة المعهودة، وهي الاستغاثة بالأموات، والقبور، والجن، والاستغاثة فيما هو من خصائص الله تعالى، كالإحياء، والشفاء، ونحو ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ.

١٢١ . مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي (١٥٩/١٠)، قال الحافظ ابن كثير: هذا الحديث غريب جداً، تفسير ابن كثير (١٨٢/٣)

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الاستغاثة، وأنواعها.

الاستغاثة: طلب الغوث، والغوث إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون.[١٢٢]

فالاستغاثة هي: طلب إزالة المكروه، وهي نوعان: استغاثة جائزة، وممنوعة.

والاستغاثة الجائزة قسمان:

- **الأول:** الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنعام:٩]

- **الثاني:** الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهذا جائز، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]

والاستغاثة الممنوعة قسمان:

١. **الاستغاثة بالأموات** مطلقاً سواءً كان الميت نبياً أو رجلاً، صنماً أو غير ذلك.

٢. **الاستغاثة بالأحياء** فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون، فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

١٢٢ . تيسير العزيز الحميد (١٥٥)

الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] [١٢٣]

الوقفة الثانية: الدعاء معناه وأنواعه.

الدعاء معناه: استدعاء العبد ربه عَزَّوَجَلَّ العناية، واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلةِ البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَة**)).[١٢٤]

والدعاء نوعان:

- **الأول**: دعاء عبادة، وهو تعبّدُ المدعو ربه طلباً لثوابه، وخوفاً من عقابه، كالمصلي والصائم والمزكي يريد بذلك الثواب والنجاة من العقاب.
- **والثاني**: دعاء مسألة، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع، أو كشف ضر. وكلا النوعين عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى. [١٢٥]

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، والمعنى: أن من سأل الله تعالى، فقد عبد ربه بهذا السؤال، ومن صلى وصام فإنه يلزمه أن يسأل ربه القبول والثواب.[١٢٦]

---

١٢٣ . مجموع فتاوى الشيخ العثيمين (٦/٦٠).

١٢٤ . شأن الدعاء للخطابي (٣).

١٢٥ . انظر تيسير العزيز الحميد (١٥٦)، مجموع فتاوى العثيمين (٦/٥٢)، القول المفيد للعثيمين (١/٢٦٤).

١٢٦ . انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (١٨٠).

الوقفة الثالثة: في الفرق بين الدعاء والاستغاثة.

الفرق بين الدعاء والاستغاثة: أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة هي دعاء الله في حال الشِّدة، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر.

وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضاً من العقل، فإن أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله في كل شؤونهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦ – ١٠٧][١٢٧]

١٢٧ . انظر: القول السديد للشيخ السعدي (٥١)

بَابُ قول الله تعالى:
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾

قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية

وفي الصحيح عن أنس ﷺ قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: ((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟)) فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.[١٢٨]

وفيه عن ابن عمر ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: ((اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا))، بعد ما يقول: ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ))، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.[١٢٩]

وفي رواية: ((يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]))[١٣٠]

وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فقال: ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا

---

١٢٨ . رواه البخاري معلقاً(٨٣٧)، ومسلم(١٧٩١)، وأحمد (١١٩٨٧)، وابن حبان (٦٥٧٥)، والبزار (٣٢٠٤).
١٢٩ . صحيح البخاري (٤٠٦٩).
١٣٠ . صحيح البخاري ك/ المغازي (٤٠٧٠) وهذه الرواية هي في البخاري مرسلة عن سالم بن عبدالله.

شِئْتِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)).[١٣١]

مقصود هذا الباب ما يلي:

أولاً: ذكر البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله، كالاستعاذة والاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا جعل الترجمة لهذا الباب نفس الدليل.

ثانياً: بيان حال المدعوين من دون الله أنهم لا ينفعون ولا يضرون، حتى ولو كانوا من الملائكة والأنبياء، والصالحين، فضلاً عن أن يكون صناماً، فكل من دُعي من دون الله فهذه حاله، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].[١٣٢]

فالآية تُفيد بأن كل من عُبِدَ من دون الله لا يصلح أن يكون إلهاً من أربعة وجوه:

١. أنهم لا يستطيعون أن يخلقوا أي شيء حتى الذبابة.

٢. وأنَّهم مخلوقون مربوبون.

٣. وأنهم لا يستطيعون نصر الداعين لهم.

٤. وأنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم.[١٣٣]

وأكرم الخلق وأقرب الناس منزلة وأفضل الأنبياء محمد ﷺ لم يستطع دفع الضُر عن نفسه ولا عن أصحابه يوم أحد، فإذا كان حاله كذلك فكيف يُعبد الرسول ﷺ من دون الله تعالى؟! ولاشك أن غيره من باب أولى.

---

١٣١ . صحيح البخاري (٤٧٧٠)، وصحيح مسلم (٢٠٨).

١٣٢ . تيسير العزيز الحميد (١٨٢).

١٣٣ . انظر التعليق المفيد لشيخنا ابن باز (٩٥)، القول المفيد لشيخنا العثيمين (٢٨٦/١).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ))، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ – وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ – فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ)).[١٣٤]

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ: رَعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتُ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَئِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلاَئِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرَئِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَئِيلُ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرَئِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرَئِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ)).[١٣٥]

---

١٣٤ . رواه البخاري (٩٨٣/ ٤٧٠١)

١٣٥ . رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١٤٤)، والطبري في التفسير (٢٨٨٤٩). وهذا الحديث أُعل بعلتين: الأولى: ضعف نعيم بن حماد. والثانية: عنعنة شيخه الوليد بن مسلم وهو مدلس. والحديث ضعفه غير واحد من أهل العلم، كالشيخ الألباني رحمه الله.

مقصود هذا الباب الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله غيره ممن لا يداني حاله حال الملائكة، ولا يساويهم في صفة من صفاتهم.

وكما هو معلوم أن الملائكة هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى، وهيبتهم منه، وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله؟ وغيرهم ممن لا يقدر على شيء، من الأموات، والأصنام أولى أن لا يُدعى ولا يُعبد.[١٣٦]

ولعل من المناسب ذكر مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في الملائكة: أنهم عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩]

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق، وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه، جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل وفتور.[١٣٧]

---

١٣٦ . تيسير العزيز الحميد (١٩٣) باختصار

١٣٧ . انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (٨٧/٦)، وعالم الملائكة الأبرار للأشقر.

اَلشَّفَاعَةِ

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلا فِى الْأَرْضِ﴾ الآيتين.

قال أبو العباس: نفي الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ: ((**أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَد**))، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم قال له: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.[١٣٨]

١٣٨ . رواه البخاري (٧٤١٠) و مسلم (١٩٣)

وقال له أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: ((**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**)).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه رحمه الله.

مقصود هذا الباب إقامة الحجج على من وقع في الشرك بسبب تعلقهم بالشفاعة وغلوهم فيها، حتى صار حالهم كحال أهل الجاهلية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣]

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الشفاعة وأقسام الناس فيها.

الشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر، وهو جعل الوتر شفعاً، مثل أن تجعل الواحد اثنين.

وشرعاً: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

والناس في الشفاعة على ثلاثة أصناف:

الأول: من غلا فيها، وهم القبوريون من هذه الأمة.

الثاني: من أنكرها، وهم المعتزلة والخوارج.

الثالث: أهل السنة، اثبتوا الشفاعة ولكن بشرطين:

إذن الله تعالى في الشفاعة.

ورضا الله تعالى عن الشافع، والمشفوع، لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦]

الوقفة الثانية: في أقسام الشفاعة.

تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

- **الأول**: شفاعة مثبتة أثبتها الشرع، وهذه الشفاعة تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهي على أنواع منها:

الشفاعة العظمى، وهي شفاعته لأهل الموقف يوم القيامة بالحساب.[١٣٩]

شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.[١٤٠]

شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها، ودليل ذلك ما رواه مسلم عن أنس مرفوعاً:

١٣٩ . أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

١٤٠ . أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

((أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ))[١٤١]. وفيه أيضاً: ((آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ , فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ)).[١٤٢]

شفاعته في رفع درجات بعض أهل الجنة، قال بعض أهل العلم إن هذه ليست خاصة بالنبي ﷺ بل يشاركه فيها الأنبياء والملائكة والصالحين.

النوع الثاني: الشفاعة العامة، وهي التي تعم الجميع ممن يأذن الله له في الشفاعة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وهي شفاعتهم في بعض من دخل النار من الموحدين أن يخرجوا منها ويدخلوا الجنة.

- **القسم الثاني**: الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي أبطلها القرآن مما كان فيها شرك، كما نقل المؤلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الوقفة الثالثة: في الأسباب التي تُنال بها شفاعة النبي ﷺ.

١. السلامة من الشرك، قال ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)).[١٤٣]

٢. تحقيق التوحيد، ودليل ذلك قوله عندما سُئل ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته قال: ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)).[١٤٤]

---

١٤١ . صحيح مسلم (١٩٦).
١٤٢ . صحيح مسلم (١٩٧).
١٤٣ . رواه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).
١٤٤ . سبق تخريجه.

٣. سؤال الوسيلة له عليه الصلاة والسلام بعد الأذان، ودليل ذلك حديث مسلم عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ تَعَالَى لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)).[١٤٥]

٤. الصلاة على النبي ﷺ صباحاً ومساءً عشر مرات، ودليل ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[١٤٦]

٥. سكنى المدينة النبوية والصبر على ذلك، قال ﷺ: ((لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا)).[١٤٧]

٦. الموت في المدينة النبوية، لقوله ﷺ: ((مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا)).[١٤٨]

١٤٥ . مسلم (٣٨٤).

١٤٦ . رواه الطبراني كما في المجمع (١٠/١٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٥٧).

١٤٧ . رواه مسلم (١٣٧٨).

١٤٨ . أخرجه الترمذي (٣٩١٧)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٠١٦).

بَابُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المغِيرَةِ وَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: ((أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)) فَقَالاَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِي ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: ((لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ)) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[١٤٩]

وفي (الصحيح) عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وَعِنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فَأَعَادَا فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله عز وجل(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ (٠٦) الآية. وأنزل الله في أبي طالب: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء) (١٦).

١٤٩ . رواه البخاري (٦/ ١١٢)، ورواه مسلم (٢٤).

مقصود هذا الباب الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وهداية القلوب، وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية، ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة.

إن في عدم قدرة النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب مع شدة حرصه على ذلك، دلالة واضحة على أن الأمر كله لله تعالى، فهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فمن سأل الله تعالى آتاه سُؤله، ومن سأل غيره، فإن الله تعالى يكِلُهُ إلى ذلك الغير، الذي لا يملك من الأمر شيئاً.

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الهداية وأنواعها.

الهداية هي: الدلالة والإرشاد، قال الراغب: هي الدلالة بلطف.[١٥٠]

وهي نوعان:

الأول: هداية دلالة وإرشاد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فهذه يملكها النبي ﷺ، وكذلك هي لكل من دعا إلى الله على بصيرة.

الثاني: هداية توفيق وامتنان، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فهذه لا يملكها أحدٌ إلا الله ﷻ.

١٥٠ . انظر القاموس المحيط (١٧٣٣)، مفردات القرآن للراغب (٨٣٥).

الوقفة الثانية: في بيان هداية الله تعالى للإنسان.

هداية الله للإنسان على أربعة مراتب:

الأولى: الهداية التي عَمَّ بجنسها كل مكلف من: العقل، والفطرة، والمعارف الضرورية، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]

الثانية: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء والرسل، وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]

الثالثة: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقوله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ ونحو ذلك من الآيات.

الرابعة: الهداية في الآخرة إلى الجنة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥] أي: إلى الجنة، وهو أحد الأوجه الأربعة في تفسير الآية، ومنه قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].[١٥١]

١٥١ . مفردات القرآن للراغب، بتصرف (٨٣٥-٨٣٦)

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾

في الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]؛ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.[١٥٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[١٥٣]

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**)) أخرجاه.[١٥٤]

قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ**)).[١٥٥]

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ((**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**)) قَالَهَا ثَلَاثًا.[١٥٦]

---

١٥٢ . صحيح البخاري (٤٩٢٠).

١٥٣ . إغاثة اللهفان لابن القيم (١/١٩٠).

١٥٤ . رواه البخاري (٣٤٤٥) دون مسلم.

١٥٥ . رواه أحمد (٣٢٤٦)، والنسائي (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين (٤/٥٠٢)، والشيخ ابن باز في التعليق المفيد على كتاب التوحيد (١١٥).

١٥٦ . صحيح مسلم (٧/٢٦٧٠).

مقصود هذا الباب التحذير من الغلو، وبيان أنه سبب يُوقع في الكفر، ويُؤدي إلى ترك الدين، كما حصل لقوم نوح عندما غلو في صالحيهم، وقعوا في الكفر، فعُبدت تلك التماثيل من دون الله، والحال نفسه عند النصارى عندما غلوا في نبيهم عيسى ﷺ.

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الغلو وأقسامه.

الغلو من الغلاء، وأصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء، قال الطبري رحمه الله: وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حدِّه الذي هو حدّه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: الغلو مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في مدحه، أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك.[١٥٧]

وقال السعدي رحمه الله: الغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مُشارك، هو الكمال المطلق، والغِنَى المطلق، والتصرف المطلق من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحدٌ سواه.[١٥٨]

والغلو قسمان:

الأول: غلو اعتقادي، كغلو النصارى في عيسى عليه السلام، وغلو الرافضة في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وغلو الخوارج في التكفير بالمعاصي.

الثاني: غلو عملي، وهو متعلق بالأمور العملية التفصيلية من قول اللسان، أو

١٥٧ . انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٣٤٣)، تفسير الطبري (٤/٣٧٣)، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/٢٨٩).
١٥٨ . القول السديد للسعدي (٦٦).

عمل الجوارح مما لا يكون فرعاً عن عقيدة فاسدة، مثل المبالغة في الحصى الذي يُرمى بِه الجمار، والوصال في الصيام، وقيام الليل كله، ونحو ذلك من المبالغة في العبادات، وترك الاتباع لسنة النبي ﷺ.[١٥٩]

الوقفة الثانية: أقسام الناس في معاملة الصالحين.

الناس في معاملة الصالحين على ثلاثة أقسام:

١. أهل الجفاء الذين يهضمون الخلق حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة والتوقير.

٢. أهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

٣. أهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية،ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم. والصالحون أيضاً يتبرؤون من أن يدَّعوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصَّة، كما قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].[١٦٠]

الوقفة الثالثة: في حكم الغلو.

الغلو أمر محرم، وهو من الكبائر، والذي يدل على كونه من الكبائر قوله ﷺ: ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))، وذلك عندما رأى غلو بعض الصحابة في جانب التعبد.

١٥٩ . انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٨٩/١)، الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق (٧٠)، بدع الاعتقاد لمحمد الناصر (٩٥).
١٦٠ . القول السديد للسعدي (٦٨).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في سياق ذكره للكبائر: ومنها الغلو في المخلوق حتى يتعدى به منزلته، وهذا قد يرتقي من الكبيرة إلى الشرك.[١٦١]

وقد بين النبي ﷺ أن الغلو سبب من أسباب هلاك الأمم، وهلاك المتنطعين أيضاً في الدنيا والآخرة.

والمتنطعون: هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع، وهو: الغار الأعلى للفم، ثم استُعمل في كل تَعَمُّق قولاً وفعلاً.[١٦٢]

ويحتمل هلاكهم في الدنيا والآخرة، وبهذا يتبين مراد المصنف من ذكر الحديث، وهو أن التنطع منافٍ للتوحيد، ومن أسباب هلاك الأمم.[١٦٣]

١٦١ . أعلام الموقعين (٤/٥٠٢).
١٦٢ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٦٣).
١٦٣ . إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/١٦٤).

بَابُ: مَا جَاءَ مِنَ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟!

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور! فقال: ((أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ)).[١٦٤]

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتنم بها كشفها فقال وهو كذلك: ((لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ))، يُحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً. أخرجاه.[١٦٥]

ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ)).[١٦٦]

١٦٤ . صحيح البخاري (٤٢٧)، وصحيح مسلم (٥٢٨).

١٦٥ . صحيح البخاري (٤٣٦)، وصحيح مسلم (٥٢٩)؛ تنبيه: قوله [ولولا ذلك أبرز قبره...] ليس في الصحيحين.

١٦٦ فائدة: استشكل بعض أهل العلم ذكر النصارى فيه، لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي غيره وليس له قبر. والجواب: من وجوه:

الأول: أنه كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين.

الثاني: أن الجمع في قوله: ((أنبيائهم))، بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيده رواية مسلم من طريق جندب: ((كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد))، ولهذا لما أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال: ((إذا مات فيهم الرجل الصالح))، ولما أفرد اليهود في الذي بعده قال: ((قبور أنبيائهم)).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكلُ موضعٍ قُصدت الصلاةُ فيه فقد اُتخذ مسجداً، بل كل موضع يُصلى فيه يُسمى مسجداً، كما قال ﷺ: ((جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)).

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: ((إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ))، ورواه أبو حاتم في صحيحه.[١٦٧]

مقصود هذا الباب التحذير من الافتتان بالقبور، وأنت ترى أن المؤلف رحمه الله كثيراً ما يحذر من فتنة القبور، ولذلك حذَّر منها في أبواب مختلفة، وذلك ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، فإذا كان قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما سيمر بك، فكيف بعبادة أربابها من دون الله تعالى؟!

ولا يشك عاقل أن فتنة القبور قديماً وحديثاً قد أضرت بهذه الأمة أيما ضرر !!!

فعباد القبور وقعوا في الشرك من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].[١٦٨]

الثالث: أن المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعاً أو اتباعاً، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود. انظر فتح الباري لابن حجر (١/٦٣٤). صحيح مسلم (٥٣٢).

١٦٧ . أخرجه أحمد في المسند (٣٨٤٤)، و ابن خزيمة (٨٧٩)، و ابن حبان (١٩٢٠).

١٦٨ . انظر تيسير العزيز الحميد (٢٣٤).

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان المشروع والممنوع عند زيارة القبور.

ما يُفعل عند قبور الصالحين وغيرهم نوعان: مشروع، وممنوع.

النوع الأول: وهو المشروع، وهي زيارة الموحدين: زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحلٍ؛ وهي زيارة الموحدين، ومقصودها ثلاثة أشياء:

١. تذكر الآخرة، والاعتبار والاتعاظ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: ((**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**)).

٢. الإحسان إلى الميت بالدعاء والاستغفار له، تأسياً بالنبي ﷺ، ففي الصحيح عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المقابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: ((**السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاَحِقُونَ، أَسْأَلُ الله لَنَا وَلَكُمُ العافِيَةَ**)).[١٦٩]

٣. إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ فيُحسن على نفسه بذلك.[١٧٠]

النوع الثاني: الممنوع وهي الزيارة الشركية، ولها حالتان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك، كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها، وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

١٦٩ . أخرجه مسلم (٩٧٥).
١٧٠ . إغاثة اللهفان لابن القيم (١/٢٢٣).

الحالة الثانية: شرك أكبر، كدعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم، ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].[١٧١]

الوقفة الثانية: في مراتب البدع عند القبور.

الأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

المرتبة الأولى: وهي أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت، أو الغائب، كما يتمثل لعباد الأصنام.

وهذا يحصل للكفار من المشركين، وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر، والتمسح به وتقبيله.

الثانية: أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد زيارته، والصلاة عنده، لأجل طلب حوائجه. فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وإن

١٧١ . انظر القول السديد للسعدي (٧٠).

كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم: قبر فلان ترياقٌ مجرب.[١٧٢]

الوقفة الثالثة: في بيان الهدي النبوي المتعلق بالقبور.

نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واشتد نهيه في ذلك حتى لعن فاعله، ونهى عن الصلاة إلى القبور، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً، ولعن زوَّرات القبور.

وكان هديه أن لا تهان القبور وتُوطأ، وألا يُجلس عليها، ويُتكأ عليها، ولا تُعظَّم بحيثُ تُتَّخذُ مساجد فيُصلَّى عندهَا وإليها، وتتخذ أعياداً وأوثاناً.

ولم يكن من هديه ﷺ تعلية القبور، ولا بناؤها بآجرٍّ، ولا بحجر ولَبِنٍ، ولا تشييدها، ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة، مخالفة لهديه ﷺ.

وقد بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن، ألا يدع تمثالاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سواه، فسنته ﷺ تسوية هذه القبور المشرفة كلِّها، ونهى أن يجصص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يُكتب عليه.

وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبرُه ﷺ مُسنَّم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه. وكان يُعلم قبرَ مَنْ يُريدُ تعرَّفَ قَبرِه بصخرة.[١٧٣]

---

١٧٢ . انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢٢٢).

١٧٣ . رواه أبو داود في السنن (٣٢٠٦) ومن طريقه البيهقي (٣/٣١٢) بسند حسن، (١/٥٢٥)؛ وانظر: زاد المعاد (١/٥٢٤).

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اَللَّهِ

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: ((اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)).[١٧٤]

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.[١٧٥]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن.[١٧٦]

مقصود هذا الباب فيما يظهر هو ذكر النصوص التي تُبين عناية الشريعة بحفظ جناب التوحيد، حيث أن نصوص الباب تتضمن الآتي:

أولاً: التحذير من الغلو في قبور الصالحين.

ثانياً: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها، فأهل الجاهلية إنما عبدوا اللات بعدما غلو فيه، فعكفوا على قبره أولاً، ثم عبدوه بعد ذلك، وهذه من حيل الشيطان ببني آدم.

---

١٧٤ . رواه مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلًا، وقد تكلم الحافظ ابن عبدالبر على الحديث في التمهيد(٥/١٧٥)وقال: فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند، لإسناد عمر بن محمد له، وهو ممن تقبل زيادته.والذي يظهر أن الحديث من طريق مالك ضعيف، ولكن له شاهد صحيح عند الإمام أحمد في المسند من طريق أبي هريرة مرفوعاً: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد((؛ والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند(١٣/٨٨/٧٣٥٢).

١٧٥ . رواه البخاري، ك/التفسير، باب ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾.

١٧٦ . رواه أبو دواد، ك (٣٢٣٦)، والترمذي، (٣٢٠) وقال: حديث حسن. وقد أُعل هذا الحديث بأن في إسناده أبو صالح مولى أم هاني.

ثالثاً: أنها إذا عُبدت سُميت أوثاناً، ولو كانت قبور صالحين، كما قال ﷺ: ((**اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**)).

رابعاً: بيان أن الشريعة جاءت بسد كل الوسائل المفضية إلى الشرك.

بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ)) رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.[١٧٧]

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: ((لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُ)) رواه في المختارة.[١٧٨]

مقصود هذا الباب بيان حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد، وإن كان كل ما تقدم هو من حمايته ﷺ للتوحيد، إلا أنَّ المصنف ذكر في هذا الباب حماية خاصة منه ﷺ للتوحيد.[١٧٩]

وكيف لا يحمي ﷺ جناب التوحيد وهو الموصوف في كتاب الله تعالى بقوله:

---

١٧٧ . سنن أبي داود (٢٠٤٢)؛ قال الحافظ ابن عبدالهادي: الحديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى الصحة، كما في عون المعبود عون المعبود (٦/٢٤)، وصححه النووي في المجموع(٨/٢٠٣).وقد جود إسناده الشيخ سليمان في شرحه (٢٦٠)، وصححه الألباني في صحيح السنن.

١٧٨ . رواه ابن أبي شيبة في مصنفة (٧٥٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤٦٧)، وجود إسناده صاحب التيسير(٢٦٠).

١٧٩ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٥٥).

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

فهل يليق بمن هذا نعته في القرآن أن يترك الأمة تقع في الشرك الذي يبعدها عن الله ويسبب لها دخول النار والخلود فيها؟ !

ومن ذرائع الشرك التي سدَّها ﷺ حماية للتوحيد ما يلي:

١. نهيه ﷺ عن تعطيل البيوت من الصلاة، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، وأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، وهذا عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

٢. نهيه ﷺ عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واتخاذها عيداً، فلا يُتردد على قبره في وقت معين محدد من السنة، أو الشهر، أو الإسبوع.

٣. أمره ﷺ لمن أراد السلام عليه أن يسلم حيث كان، وأخبر أن سلامه سيبلغه.

بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ((فَمَنْ؟)) أخرجاه.[١٨٠]

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)).[١٨١]

---

١٨٠ . رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩)، بلفظ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)). وليس فيهما لفظ المصنف، ويظهر أنه نقله عن شيخ الإسلام كما في اقتضاء الصراط المستقيم فإنه ذكر الحديث بهذا اللفظ وعزاه للصحيحين.

١٨١ . مسلم (٢٨٨٩).

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: ((وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)).[١٨٢]

الذي يظهر والعلم عند الله أن المصنف أراد من هذا الباب الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك، ويقولون: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة المحمدية، ما داموا يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فبين في هذا الباب من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، ما يدل على وقوع الشرك وتنوّعه في هذه الأمة، ورجوع كثير منهم إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ﷻ.[١٨٣]

وقول من يقول بأن هذه الأمة لا تقع في الشرك استدلالاً بحديث جابر أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)).[١٨٤]

جوابه: أن غاية ما فيه أن النبي ﷺ أخبر بيأس الشيطان، عندما رأى دخول الناس في دين الله أفواجاً، ولكن الواقع لا يلزم أن يكون موافقاً لما ظنه الشيطان، بل إن الأمر وقع بخلافه.[١٨٥]

والأدلة التي ذكرها المصنف في بيان وقوع الشرك في هذه الأمة مبنية على أصلين:

---

١٨٢ . رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وإسناده صحيح.

١٨٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٦٥).

١٨٤ . صحيح مسلم (٢٨١٢).

١٨٥ . انظر: القول المفيد لشيخنا العثيمين (٤٦٧/١).

الأصل الأول: الجزم بوقوع اليهود والنصارى في الشرك، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]

والأصل الثاني: أن هذه الأمة ستفعل ما فعله أهل الكتاب حتى الشرك.

يَدُلُّ على ذلك ما يلي:

أولاً: شِدة متابعة هذه الأمة لأهل الكتاب فيما وقعوا فيه من مخالفة دين الله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في أحاديث منها:

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ((**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامِعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ**)).[١٨٦]

عن المستورد بن شداد عن النبي ﷺ: ((**لَا تَتْرُكُ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا مِنْ سَنَنِ الْأَوَّلِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُ**)).[١٨٧]

قول النبي ﷺ: ((**لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حُلْوَهَا وَمُرَّهَا**)).[١٨٨]

ثانياً: التنصيص من النبي ﷺ على أنها ستقع في الشرك، كما في أحاديث الباب التي ذكرها المصنف.

---

١٨٦ . مستدرك الحاكم ك/ الإيمان (٤/٤٥٥) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٠٦٧).

١٨٧ . مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي (٤٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢١٩).

١٨٨ . والحديث صححه الحافظ في فتح الباري (١٣/٣١٤)

بَابُ: مَا جَاءَ فِي اَلسِّحْرِ

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد.[١٨٩]

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)) قَالُوا: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**)).[١٩٠]

وعن جندب مرفوعاً: ((**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**)) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.[١٩١]

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عَبَدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرةٍ، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.[١٩٢]

---

١٨٩ . أورده البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ك / التفسير، باب (وإن كنتم مرضى أو على سفر).

١٩٠ . رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

١٩١ . أخرجه الترمذي، (١٤٦٠) وقال: (هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري، قال وكيع: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيح عن جندب موقوف) والحديث ضعفه البيهقي في الكبرى (٨/٢٣٤)، وابن العربي في عارضة الأحوذي (٦/١٩٤)، والحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٢٣٦).

١٩٢ . رواه أبو داود (٣٠٤٣)، وصححه الألباني.

وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت.[١٩٣]

وكذلك صح عن جندب.[١٩٤]

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ.

مقصود هذا الباب التحذير من السحر، لأن السحر من عمل الجاهلية، فيجب على كل من أراد تحقيق التوحيد، والسعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة أن يحذر من السحر وأهله، فإن الثمن دين الإنسان وعقيدته، وقد حذر النبي ﷺ أمته من السحر وأهله، وبيّن أنه شرك وكفر وأنه برئ من السحرة، والذين يروجون بضاعتهم الكفرية.

وفي هذا الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى السحر.

السحر في اللغة: اسم لما لطُفَ وخَفِي سببه، وقيل: صرف الشيء عن وجهه.[١٩٥]

والسحر نوعان:

الأول: سحر بالعقد والنفث والرقى، والأدوية الضارة.

والثاني: سحر بالتخييل والتزوير، وهو سحر قوم موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦]

---

١٩٣ . رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٣٤/١٦٤٩٩).انظر: الموطأ مع شرحه للزرقاني (٤/٢٤٩/١٦٨٩).

١٩٤ . رواه البيهقي في الكبرى(٨/٢٣٤/١٦٥٠١)، من طريق خالد الحذاء، عن أبي عثمان قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله.

١٩٥ . انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٤٩)، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (١٥٧)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٣١٢).

والصحيح أن السحر كلُه كفرٌ أكبر، لأن الساحر لا يكون ساحراً إلا بالشرك بالله، واستخدام الشياطين وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن تعلم السحر لا يكون إلا بإهانة القرآن، ونحو ذلك من الأعمال الكفرية.

وعلى هذا فإن السحر بأنواعه يُعتبر كفراً أكبر، وشركاً بالله تعالى.

أما أعمال الشعوذة والدجل فإنها لا تُسمى سحراً في الاصطلاح الشرعي، وإن كان في اللغة تسمى سحراً.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: فتحصل أن السحر بجميع أنواعه فيه استخدام للشياطين واستعانة بها، والشياطين لا تخدم إلا من تقرَّب إليها بالذبح، أو الاستعانة، أو الاستغاثة ونحو ذلك؛ فالسحر إذاً شرك بالله تعالى، وكل ساحر مشرك.[١٩٦]

الوقفة الثانية: ما جاء من الوعيد في السحر.

جاء عن النبي ﷺ في الترهيب والتحذير من السحر وأهله ما يلي:

تبرأ النبي ﷺ من الساحر وطالب السحر، فقد روى البزار عن عمران بن حصين مرفوعاً: ((**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً** - أَوْ قَالَ: مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً - **وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ)).[١٩٧]

أن السحر من الموبقات، قال ﷺ: ((**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**)).[١٩٨]

---

١٩٦ . التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٠٠).

١٩٧ . مسند البزار (٣٠٤٤)، قال المنذري في الترغيب: إسناده جيد (٤٤٦٧)، وصححه الألباني برقم (٣٠٤١).

١٩٨ . سبق تخريجه.

أن السحر من أكبر الكبائر يوم القيامة، روى ابن حبان من حديث عمرو بن حزم ﷺ في كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن وفيه: ((وَإِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَرَمْيُ الْمُحْصَنَةِ، وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ)).[١٩٩]

أن أهل السحر لا يدخلون الجنة، روى ابن حبان عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ)).[٢٠٠]

الوقفة الثالثة: في حكم الساحر.

اختلف أهل العلم في حدِّ الساحر:

القول الأول: أن حدَّه القتل، وهذا مروي عن جماعة من الصحابة، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية. قال ابن القيم رحمه الله: وصح عن عمر ﷺ أنه قتله، وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها قتلت مدبَّرة سحرتها.[٢٠١]

والقول الثاني: أنه يُسأل عن سحره، فإن اعترف معه بما يُوجب القتل قُتل، وإلا لم يُقتل وبهذا قال الشافعي وأحمد في رواية.[٢٠٢]

١٩٩ . ابن حبان في صحيحه (٦٥٥٩) قال الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٤٣): صحيح لغيره.
٢٠٠ . ابن حبان في صحيحه (٥٣٤٦)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب برقم (٣٠٥٠).
٢٠١ . زاد المعاد (٦٢/٥).
٢٠٢ . انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٩٦/١٣)، والمغني لابن قدامة (٣٠٢/١٢)، والإنصاف للمرداوي (٢٦٤/١٠).

بَابُ: بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ)).

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض. والجبت، قال الحسن: رنَّة الشيطان؛ إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.[٢٠٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، قَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ)) رواه أبو داود، وإسناده صحيح.[٢٠٤]

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)).[٢٠٥]

---

٢٠٣ . أخرجه أحمد (١٥٩١٥)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والبغوي (٣١٤٩)، وابن حبان (٦٠٩٨) وحسنه النووي في رياض الصالحين (٤٦٩).
فائدة: قوله: قال الحسن: رنة الشيطان. قال صاحب التيسير: لم أجد فيها كلاماً.قال شيخنا عبدالله الجبرين في فوائده على كتاب التوحيد (٧٧): رجعنا إلى مسند الإمام أحمد فوجدنا بدل الراء ألفاً، وبدل التاء المربوطة هاء.فقراءتها في المسند: والجبت، قال الحسن: إنه الشيطان. وهذا هو الأقرب أن الجبت هو الشيطان فتفسير الحسن أن الجبت هو الشيطان أقرب، والحاصل أن الجبت هو الشيطان، ويفسر أيضاً بأنه من عمل الشيطان.
أقول: لعل المصنف تابع الإمام ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/٣٦٥)، حيث أنه ذكر الحديث بسنده ثم ذكر تفسير عوف، وقول الحسن: رنة الشيطان، كما عند المصنف نصاً. والذي يظهر لي أن صوابه هو، قال الحسن: إنه الشيطان.
٢٠٤ . رواه أبو داود (٣٩٠٥)، و ابن ماجه (٣٧٢٦) وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٥/١٦٦).
٢٠٥ . أخرجه النسائي (٤٠٧٩)، قال الشيخ الألباني: وإسناده ضعيف، وله علتان: الأولى: الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة، وبه أعله المنذري في الترغيب، فقال: ((لم يسمع منه عند الجمهور، وفاته علة أخرى وهي: الثانية: عباد بن ميسرة المنقري، قال الحافظ: لين الحديث.وللجملة الأخيرة شاهد، انظر: غاية المرام للشيخ الألباني (١٤٢/ رقم ٢٨٨).

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**)) رواه مسلم.[٢٠٦]

ولهما عن ابن عمر ﷺ،أن رسول الله ﷺ قال: ((**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**)).[٢٠٧]

مقصود هذا الباب بيانُ أنواعٍ من السحر بحسب مرجعها من الحقيقة العرفية واللغوية والشرعية.

والأصل أن السحر إذا أُطلق في النصوص الشرعية فإن المراد به الشرك الأكبر، وفي بعض ألفاظ الشرع إطلاقُ لفظِ السحر على بعض الأمور كالعيافة والبيان، وهذه الأمور ليست كالسحر الذي سبق بيانه في الباب السابق، لا في الحد، ولا في الحقيقة، ولا في الحكم.

وأنواع السحر التي ذكرها المؤلف هي كالآتي:

النوع الأول: العيافة، وقد فسرها عوف الأعرابي بأنها زجر الطير.

قال ابن الأثير في بيان معنى العيافة: هو التيمُّن والتشاؤُم بها، والتفوّل بطيرانها كالسانح والبارح، وهو نوع من الكهانة والعيافة.[٢٠٨]

ووجه كون العيافة من السحر: أن السحر شيء خفي يؤثر في النفوس، والعيافة من التأثر بالطير وبزجرها وبانتقالها من هنا إلى هنا أو بحركتها، شيء خفي دخل في النفس

٢٠٦ . صحيح مسلم (٢٦٠٦) قال النووي: هذه اللفظة (العضه) رووها على وجهين: أحدهما: العِضَه، بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة والزنة.والثاني: العَضْه، بفتح العين، وإسكان الضاد، على وزن الوجه، وهذا الثاني هو الأشهر في روايات بلادنا والأشهر في كتب الحديث و الغريب، والأول أشهر في كتب اللغة، ونقل القاضي أنه أكثر روايات شيوخهم.وتقدير الحديث: ألا أنبئكم ما العضه، الفاحش الغليظ التحريم؛ شرح مسلم (١٦/١٣٠).

٢٠٧ . صحيح البخاري (٥٧٦٧)، ومسلم (٤٧/٨٦٩)

٢٠٨ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٢٦٩)

فأثر فيها من جهة الإقدام أو الكف، فكانت نوعاً من السحر لأجل ذلك.[٢٠٩]

النوع الثاني: الطرق، وقد فسره عوف بالخط يُخط في الأرض. وقال الخطابي رحمه الله: وأما الطرق، فإنه الضرب بالحصى، ومنه قول لبيد: [٢١٠]

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ووجه كون الطرق من السحر: أن الطرق نوع من أنواع الكهانة، والكهانة ضرب من السحر.

النوع الثالث: الطيرة، وهي تحريك الطير يميناً أو يساراً تفاؤلاً أو تشاؤماً، والطيرة نوع من أنواع التأثيرات الخفية على القلوب، ولذلك تعتبر من السحر.

النوع الرابع: التنجيم، ومعناه: اعتقاد أن النجوم تؤثر في الكون، كما قال شيخ الإسلام: هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية.[٢١١]

النوع الخامس: العقد والنفث، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، والسحرة يستعينون على سحرهم بالنفث في العقد التي يعقدونها على السحر، قال ﷺ: ((**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ**)).

النوع السادس: النميمة، هي: نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم؛ وهي من كبائر الذنوب، وسُمي عمل النمام سحراً لأنه يعمل عمل السحر، قال ﷺ: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**))، والعضه في لغة قريش: السحر.[٢١٢]

قال يحيى بن معاذ: النَّمام أشرُّ من الساحر، ويعمل النَّمام في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر.[٢١٣]

---

٢٠٩ . التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (٣٠٨)

٢١٠ . معالم السنن للخطابي (٤/٢١٤)

٢١١ . إعانة المستفيد للفوزان (١/٤٩٥)

٢١٢ . انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٧٠٩).

٢١٣ . تذكرة أولي البصائر لابن الجوزي (٢٥٠).

قال أبو بكر الجصاص الحنفي: وقد حُكي أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة فقالت لها: إن زوجكِ معرضٌ وقد سُحِرَ وهو مأخوذٌ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك ولا ينظر إلى سواكِ، ولكن لابد أن تأخذي من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها، فإن بها يتمُّ الأمر! فاغترت المرأة بقولها وصدقته. ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له: إن امرأتك قد علقت [أحبت] رجلاً، وقد عزمت على قتلك، وقد وقفت على ذلك من أمرها فأشفقت عليك ولزمني نصحك، فتيقظ ولا تغترّ! فإنها عزمت على ذلك بالموسى، وستعرف ذلك منها، فما في أمرها شك.

فتناوم الرجل في بيته، فلما ظنت امرأتُه أنه قد نام عمدت إلى مُوسى حادّ وهوتْ به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات، ففتح الرجل عينه فرآها وقد هوت بالموسى إلى حلقه فلم يشكَّ في أنها أرادت قتله، فقام إليها فقتلها وقُتِل. وهذا كثير لا يحصى.[٢١٤]

النوع السابع: البيان، والبيان: البلاغة والفصاحة، قال الخطابي: البيان اثنان:

- **أحدهما**: ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان.

- **والآخر**: ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب القلب، وغلب على النفس، حتى يحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن جهته، فيلوح للناظر في معرض غيره؛ وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم.[٢١٥]

---

٢١٤ . أحكام القرآن للجصاص (٥٧/١).

٢١٥ . انظر: فتح الباري (٢٤٨/١٠)، الاستذكار (٥٥٨/٨)، إكمال المعلم (٢٧٤/٣)، شرح مسلم للنووي (١٣٩/٦)، القول المفيد للعثيمين (٤٤/٢)

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا)).[٢١٦]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)) رواه أبو داود.[٢١٧]

وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن النبي ﷺ: ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)).[٢١٨]

ولأبي يعلي بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.[٢١٩]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ)) رواه البزار بإسناد جيد.[٢٢٠]

---

٢١٦ . صحيح مسلم، بلفظ ((من أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين ليلة))، رقم (٢٢٣٠).

٢١٧ . رواه أبو داود(٣٩٠٤)، وابن ماجه (٦٣٩)، والترمذي (١/١٧٦/١٣٥)كما في تحفة الأحوذي، قال أبو عيسى: لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة، قال: وضعف محمد هذا الحديث من قبل إسناده. وقد أُعل هذا الحديث بعلتين: الأولى: ضعف حكيم الأثرم. والثانية: الانقطاع بين أبي تميمة الهجيمي وأبي هريرة، وقد أُجيب عنهما. وبالجملة فالحديث صحيح كما صرح بذلك العراقي في أماليه، وللحديث طرق وشواهد منها ما ذكره الحافظ في الفتح (١٠/٢١٧).

٢١٨ . هذا الحديث رواه أحمد في المسند(٩٥٣٢)وصححه أحمد شاكر، والحاكم في المستدرك (١٥)وقال الذهبي: على شرطهما.
أما قول المصنف رحمه الله: وللأربعة, فالذي يظهر أنه تابع في ذلك الحافظ المنذري كما في الترغيب والترهيب حيث عزاه لأصحاب السنن الأربعة، وقد فات الشيخ الألباني رحمه الله التنبيه على ذلك في صحيح الترغيب (٣/١٧٠/٣٠١٠).

٢١٩ . رواه أبو يعلى الموصلي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٠٣/٨٤٩٠): ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يريم، وهو ثقة، ورواه البزار أيضاً، قال الحافظ المنذري، وابن حجر: إسناده جيد. وصححه الألباني صحيح الترغيب (٣/١٧٢).

٢٢٠ . رواه البزار (٣٥٧٨)، قال الهيثمي في المجمع (٥/٢٠١/٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة.وقال المنذري: إسناده جيد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٧٠/٣٠١١)

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: ((وَمَنْ أَتَى)) إلى آخره.[٢٢١]

قال البغوي العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.[٢٢٢]

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.[٢٢٣]

مقصود هذا الباب التحذير من إتيان الكهان، وسؤالهم، وتصديقهم فيما يخبرون، لأن ذلك يُنافي أصل التوحيد، وذلك أن من أصول عقيدة التوحيد التي قررها القرآن: أن الغيب علمٌ لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]

وفي الباب الوقفات الآتية:

٢٢١ . رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي (٥/٢٠١/٨٤٧٩): وفيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف.

٢٢٢ . شرح السنة للبغوي مع اختلاف واختصار في العبارة (٦/٢٧٧).

٢٢٣ . رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٣٩/١٦٥١٤). (أبا جاد) ضَرْب من ضُرُوب السحر والشعوذة يتعلَّق بهيئة معينة للحروف والأعداد عندما تُجْمَع بطرائق مُعَيَّنة يعرفها العاملون لها وعندما يجعلونها على هيئة معينة فإنهم يُرَتّبون عليها أحكاماً من السعادة والشقاوة ومن الفلاح وضده.

الوقفة الأولى: في بيان معنى الكهانة وأنواعها.

الكاهن عام في كل من ادّعى معرفة المغيبات بأي طريقة كانت، والكاهن في الأصل هو من يأتيه الرِّئِيُ من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، وهذه الآيات متعلقة بما قبلها وهي قوله عَزَّوَجَلَّ لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهن، وقالوا في القرآن كِهانة، وأنه مما يُلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرَّأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]. [٢٢٤]

والكهانة أربعة أنواع:

النوع الأول: منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام، فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يُلقه في أذن الكاهن فيزيد فيه. فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب،فبقي من استراقهم ما يختطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]

ثانيها: ما يُخبر به الجني من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

ثالثها: ما يستند إلى الظن والتخمين والحدس، وهذا يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

٢٢٤ . انظر: معارج القبول للحكمي (٢/٧١٣).

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم بالزجر والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعاً.[٢٢٥]

الوقفة الثانية: في بيان أقسام الناس في سؤالهم الكهان.

الناس في إتيانهم إلى الكهان على أقسام، ولكل قسم حكمه على النحو الآتي:

أن يسأل الكهان بدون تصديق، فهذا حرام، ولا تقبل منه صلاة أربعين يوماً لقوله ﷺ: ((**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**)).

أن يسأل الكهان ويصدقهم في قولهم، فهذا كفر بالله تعالى، لأن تصديقهم في ادعاء الغيب تكذيب للقرآن، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ولقوله ﷺ: ((**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ)).

أن يسأله ليُظهر كذبه وعجزه، فهذا جائز أو مندوب، كما فعل النبي ﷺ مع ابن صياد اليهودي.

الوقفة الثالثة: في بيان حكم الكاهن.

الكاهن كافر بالله، وقد ذكر العلامة الحكمي عشرة أوجه في أسباب كفر الكاهن، وهي:

٢٢٥ . فتح الباري لابن حجر (٢٢٧/١٠).

الأول: كون الكاهن ولياً للشيطان، فلم يوحي إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولَّونه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهذا وجهٌ ثانٍ.

والثالث: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾، أي نور الإيمان والهدى إِلَى ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، وهذا وجهٌ رابع.

والخامس: تسميتُه طاغوتاً في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، نزلت في المتحاكمين في كاهن جهينة؛ وقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أي بالطاغوت، وهذا وجهٌ سادس.

والسابع: أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب رضي الله عنه لم يأتِه رِئيُّه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه.

الثامن: وهو أعظمها تشبُّهُه بالله عز وجل في صفاته ومنازعته له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون سواه، فلا سَمِيَّ له ولا مشارك ولا مضاهي: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رُسُلَه.

العاشر: النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول، فكيف به هو نفسه فيما ادّعاه.[٢٢٦]

---

٢٢٦ . انظر: معارج القبول (٧١٦-٧١٨).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عن جابر أن رسول الله ﷺ سُئل عن النُشرة، فقال: ((هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سُئل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله.[٢٢٧]

وللبخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يُؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يُريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم يُنه عنه. انتهى.[٢٢٨]

ورُوى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.[٢٢٩]

قال ابن القيم رحمه الله: النُشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النُشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز.[٢٣٠]

---

٢٢٧ . رواه الإمام أحمد وأبو داود(٣٨٦٢)، واللفظ له. قال ابن مفلح في آدابه (٦٣/٣): إسناده جيد، وحسنه الحافظ في الفتح (٢٤٤/١٠)

٢٢٨ . هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه، ك/الطب، باب هل يستخرج السحر؟ قال الحافظ ابن حجر (٢٤٤/١٠): وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن، من طريق أبان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ: يلتمس من يداويه، فقال: إنما نُهي عما يضر ولم ينه عما ينفع.وأخرجه الطبري في التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب.

٢٢٩ . ذكر الإمام ابن مفلح في الآداب(٦٤/٣) أن ابن الجوزي ذكره في جامع المسانيد عنه بلفظ: لا يطلق السحر إلا ساحر.

٢٣٠ . أعلام الموقعين لابن القيم (٤٨٨/٤).

مقصود هذا الباب بيان ما يجوز من النشرة، وما يحرم منها، لأن في بيان ذلك حماية للتوحيد من الزوال أو النقص، وهذا واجب أهل العلم والدعاة، أن يُبينوا للناس كيف يصونوا عقائدهم من أمور تُنافيه، أو تُؤثر على كماله.

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان معنى النشرة.

النُشْرَة بالضم: ضرب من الرقية والعلاج يُعالج به من كان يُظنُ أن به مساً من الجن سميت نُشْرَةً، لأنه يُنشَّرُ بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويزال.[٢٣١]

ومن أنفع علاجات السِّحر: الأدوية الإلهية، بل هى أدويتُه النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السُّفلية، ودفعُ تأثيرها يكون بما يُعارِضُها ويُقاومها من الأذكار، والآيات، والدعواتِ التى تُبْطِلُ فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشدّ، كانت أبلغَ فى النُّشْرةِ، وذلك بمنزلة التقاءِ جيشين مع كلِّ واحدٍ منهما عُدَّتَه وسلاحَه، فأيُّهما غلب الآخر، قهره، وكان الحكم له، فالقلبُ إذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره، وله من التوجُّهات والدعوات والأذكار والتعوُّذات وردٌ لا يُخِلُّ به يُطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا مِن أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السِّحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يُصيبه.[٢٣٢]

٢٣١ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤٦/٥).
٢٣٢ . زاد المعاد لابن القيم (١٢٥/٤).

الوقفة الثانية: في بيان حكم حل السحر بسحر مثله.

الذهاب للسحرة بقصد حلّ السحر عن المسحور أمر محرم، ودليل تحريم ذلك ما يلي:

أولاً: أن حل السحر بسحر مثله من عمل الشيطان كما ثبت من حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل عن النشرة فقال: ((**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**)).

ثانياً: أن مجرد الذهاب للسحرة كبيرة من كبائر الذنوب، وتصديقهم يُعد كفراً بالله تعالى، قال عبدالله ابن مسعود ﷺ: من أتى عرافاً، أو ساحراً، أو كاهناً، فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.[٢٣٣]

وهذا وإن كان موقوفاً على ابن مسعود إلا أن له حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ.

أما كلام ابن المسيب رحمه الله فجوابه: أنه يُحمل على نوع من النُشرة التي ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله.

أما أن يُحمل كلام ابن المسيب رحمه الله على أنه يُفتي بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله، ليعمل السحر، فلا يُظن به ذلك حاشاه منه، ويدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح، فأي إصلاح في السحر؟ بل كله فساد وكفر، والله أعلم.[٢٣٤]

---

٢٣٣ . رواه البزار وأبو يعلى قال المنذري: بإسناد جيد موقوفا. وصححه موقوفاً الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٤٨).

٢٣٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٣١٠).

بَابُ: مُا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا عَدْوَىٰ, وَلَا طِيَرَةَ, وَلَا هَامَةَ, وَلَا صَفَرَ**)) أخرجاه، زاد مسلم: ((**وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ**)).[٢٣٥]

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**))، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: ((**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**)).[٢٣٦]

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ

---

٢٣٥ . صحيح البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠). قوله: ((لا هامة)) فيه أقوال: فقيل: معناه: أن العرب كانت تقول إن عظام الموتى تصير هامة، فتطير، فيقولون: لا يُدفن ميت إلا ويخرج من قبره هامةٌ، وكانوا يسمون ذلك الصدى، ومن ذلك تطيُّر العامةِ بصوت الهامة فأبطل الشرع ذلك.
وقيل: كان أهل الجاهلية يقولون إذا مات الرجل خرجت من رأسه هامة، فقال النبي ﷺ: ((لا هامة)) أي: لا يخرج من رأسه هامة.
وقيل: كانت العرب تقول، إن الرجل إذا قُتل خرج من رأسه طائر يزقو فلا يسكت حتى يُقتل قاتله.
وقوله: ((ولا صفر)) فيحتمل معناه ثلاثة أوجه:
الأول: أن العرب كانت تقول إن الصَّفَر حية تكون في البطن تصيب الإنسان والماشية، تؤذيه إذا جاع، وهي أعدى من الجرب عند العرب، فأبطل الشرع أنها تعدي، وهذا القول مروي عن ابن عيينة، والإمام أحمد وغيرهما من المتقدمين. ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلاً في قوله: ((لا عدوى)).وقد يقال: هو من باب عطف الخاص على العام، وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى.
الثاني: أراد به النسيء، الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر، وهذا قول الإمام مالك.
الثالث: إن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر، فأبطل النبي ﷺ ذلك، قال الحافظ ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما نهى عن السفر فيه.
وقوله: ((ولا غول)) الغول أحد الغيلان، قيل: أنه جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغُول في الفلاة تتراءى للناس فتتغوّل تغوُّلاً: أي تتلون تلوناً في صور شتَّى، وتغُولهم أي: تُضلهم عن الطريق وتُهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.
وليس قوله: ((لا غول)) نفياً لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: ((لا غُول)) أنها لا تستطيع أن تضل أحداً، يدل على أن هذا هو المراد حديث: ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)) أي: ادفعوا شرها بذكر الله تعالى.
انظر: شرح السنة للبغوي (٦/٢٦٧)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/٣٣، ٥٥)و(٥/١٠٧)، التمهيد لابن عبد البر (١٥/٤١٤)، لطائف المعارف لابن رجب(١٤٨).

٢٣٦ . صحيح البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (١١٢/٢٢٢٣).

فقال: ((أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)).[٢٣٧]

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: ((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ)) وَمَا مِنَّا إِلَّا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ. رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.[٢٣٨]

ولأحمد من حديث ابن عمرو: ((مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ))، قَالُوا: وَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: ((يَقُولُ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا غَيْرُكَ)).[٢٣٩]

وله من حديث الفضل بن عباس: ((إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ)).[٢٤٠]

مقصود الباب التحذير من الطيرة لأنها تُنافي كمال التوحيد، وهذه الظاهرة التي قلّ أن يسلم منها مجتمع، قديماً وحديثاً، فقد كان بنو إسرائيل يتطيرون بموسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]

---

٢٣٧ . سنن أبي داود (٣٩١٩)، من طريق عروة بن عامر. وقد أعل هذا الحديث بثلاث علل:
الأولى: حبيب بن أبي ثابت، وهو كثير التدليس، وقد عنعنه. قال ابن حجر في التقريب(٢١٨): ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس.
الثانية: الاختلاف في صحبة عروة بن عامر.قال المنذري: وعروة هذا قيل فيه القرشي، وقيل فيه الجهني، حكاهما البخاري. وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح.وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً.قاله في عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٠/٢٩٥). قال ابن حجر في الاصابة(٤/٤٠٥): وقد جزم أبو أحمد العسكري بأن رواية عروة هذه عن النبي ﷺ مرسلة، وكذلك البيهقي في الدعاء.
الثالثة: الانقطاع، قال الحافظ ابن حجر تهذيب التهذيب (٣/٩٥): والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة.والحديث ضعفه الألباني في تحقيقه للكلم الطيب (١٨٢). وصححه النووي في رياض الصالحين برقم (١٦٧٧).
٢٣٨ . سنن أبي داود (٣٩١٠)، والترمذي وصححه (١٦١٤)، وابن حبان (٦١٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٩٨).
قوله: ((وما منا إلا ولكن الله يُذهبه بالتوكل))، قال البخاري: قال سليمان بن حرب: ليس من قول الرسول ﷺ وكأنه من قول ابن مسعود.
٢٣٩ . المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٢/١٠/٧٠٤٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).
٢٤٠ . المسند (١٨٢٤) قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه.

وقد كانت المجوس أكثر الناس طيرة، وكانت العرب إذا أرادت سفراً نفَّرت أوَّل طائر تلقاه، فإن طار يمْنة سارت وتيمنت، وإذا طار يسرة، رجعت وتشاءَمت، فنهى النبي ﷺ عن ذلك وقال: ((أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مُكُنَاتِهَا)).

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان معنى الطيرة.

الطِّيرة: هي التشاؤم بالشيء، وأصل الطيرة: التطير بالسوانح، وهو ما ذهب ناحية اليمين، والبوارح، وهو ما ذهب ناحية اليسار، من الطير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصد أهل الجاهلية عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ.

ومع أن النهي عن التطير من الأمور المعلومة عند عامة الناس إلا أنك ترى مشاهد الطيرة في كثير من الأحيان، فبعض الناس عندما يرى من لا يحب رؤيته صباحاً تشاءم وظل يتوقع أمراً سيئاً سيقع. وأحياناً تسمع أو ترى بعض من شرع في السفر، وبمجرد أن يرى شيئاً يفزعه، أو حصل للسيارة عطل بسيط أو نحو ذلك، تشاءم وقال: هذا السفر سفر شؤم ورجع من حيث أتى.

الوقفة الثانية: في بيان أثر التطير والتشاؤم على العقيدة.

إن خطر الطيرة على التوحيد عظيم، فالتطير والتشاؤم منافٍ للتوحيد وكماله، وذلك أن الطيرة تنافي التوحيد وكماله من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره، وكفى بهذه بلية ورزية فمن تعلق بشيء غير الله تعالى وكله الله إلى ذلك الشيء، كما في المسند والترمذي من حديث عبدالله بن عُكيم ﷺ مرفوعاً: ((**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**)).[٢٤١]

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، فأي رابطة بين تلك الأمور التي يتطير منها بعض الناس وبين ما يحصل لهم، وهذا لا شك أنه مخل بالتوحيد.

والدليل على أن الطيرة لا حقيقة لها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**)).[٢٤٢]

روى الخلال عن طاووس رحمه الله: أن رجلاً صَحِبه، فصاح غراب، فقال: خير خير. فقال له طاووس: وأي خير عند هذا وأي شر؟ لا تصحبني.

والمتطير إنما يتطير خوفاً على نفسه، فهو يتشاءم لحماية نفسه، وقد ورد عن النبي ﷺ ما يفيد عكس ذلك، وأن المتطير إنما يضر نفسه بهذه الطيرة، ففي صحيح ابن حبان عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا طِيَرَةَ، وَالطِّيَرَةُ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ**)).[٢٤٣]

قال النخعي رحمه الله: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لا تضر الطيرة إلا من تطير.

---

٢٤١ . رواه أحمد في المسند (١٨٩٨٨)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٧٥٠٣)، وحسنه الشيخ الألباني في غاية المرام (١٤٧).
٢٤٢ . صحيح البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).
٢٤٣ . موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (١٤٢٨)، وحسنه الألباني برقم(١١٩٥).

ومعنى هذا: أن من تطير تطيراً منهياً عنه، وهو يعتمد على ما يسمعه، أو يراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته، فإنه قد يُصيبه ما يكرهه، وأما من توكل على الله ووثق به، بحيث علَّق قلبه بالله خوفاً ورجاءً، وقطعه عن الالتفات إلى هذه الأوهام المخوفة، وقال ما ورد عن النبي ﷺ، ومضى فإنه لا يضره ذلك.

والواجب على المؤمن والمؤمنة التوكل على الله جل وعلا، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك، وكما قيل:

الوقفة الثالثة: في بيان حكم الطيرة.

ذكر غير واحد من أهل العلم أن الطيرة من كبائر الذنوب، لثبوت الوعيد في ذلك.

و الوعيد عن النبي ﷺ في حق من وقع في الطيرة ثابت في أحاديث، منها:

١. أن الطيرة شرك، كما في حديث الباب أن النبي ﷺ قال: ((**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**)). والشرك أعظم الذنوب على الإطلاق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ورسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**)).[٢٤٤]

٢. أن النبي ﷺ تبرأ ممن تطَّير، وكما في قوله ﷺ: ((**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ**)). ومعناه: ليس يفعل ذلك من هو من أشياعنا العاملين باتباعنا المقتفين لشرعنا.

٢٤٤ . صحيح البخاري (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢/١٥٠).

٣. أن المتطير لن ينال الدرجات العُلى يوم القيامة، عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَنْ يَنَالَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَقْسَمَ أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا**)).[٢٤٥]

وقد بيّن أهل العلم أن حكم الطيرة يختلف باختلاف أحوال الشخص المتطير، وذلك أن المتطير لا يخلو من ثلاثة أحوال:

الأول: أن يمضي ولا يلتفت إلى شيء من ذلك، فهذا لا يضره، وعليه يحمل قول ابن مسعود ﷺ: وما منَّا إلا -يعني تعرض له الطيرة-، ولكن الله يُذهبُه بالتوكل.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم، وغم، يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا مكروه، ولكنه لا يدخله في حدِّ الشرك.

الثالث: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة، ويدع العمل، فهذا شرك، لحديث عبدالله ابن عمرو ﷺ عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: ((**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**)) ، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟، قَالَ: ((**أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**)).[٢٤٦]

الوقفة الرابعة: في بيان هدي النبي ﷺ لمن وقع في شيء من التطير.

لاشك أن كل من أراد السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة فعليه بالتمسك بهدي النبي محمد ﷺ، الذي كان لا يتطير ولا يتشاءم، كما قال بريدة ﷺ.[٢٤٧]

٢٤٥ . رواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما ثقات، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٣٠٤٥).
٢٤٦ . المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٢/١٠/٧٠٤٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).
٢٤٧ . رواه أبو داود (٣٩٢٠) وإسناده صحيح كما قال النووي في رياض الصالحين برقم (١٦٧٦).

ويتلخص الهدي النبوي في أمر الطيرة بالآتي:

١. التوكل على الله تعالى وعدم الالتفات للطيرة، وحقيقة التوكل على الله تعالى: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه ﷻ في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم، وهذا الاعتماد، والثقة، فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله تعالى له ووعدِه للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أمله، نعوذ بالله من الخذلان.

٢. المضي وعدم التأثر بالطيرة، الطيرة لا تضر ولا تنفع، روى الإمام أحمد عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً فبرح بي ظبي -يعني: جرى ناحية اليسار- فمال في شقه، فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيرت. قال: ((**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**)).[٢٤٨]

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: منا رجال يتطيرون، قال: ((**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ** - وفي رواية - **فَلَا يصُدَّنَّكُم**)).[٢٤٩]

٣. الإتيان بالكفارة، والكفارة هي قول ما ورد عن النبي ﷺ من الأدعية في حق من وقع في الطيرة، أو عرضت له، وقد جاء ذكرها في حديثين:

الأول: قول: ((**اللَّهُمَّ لَا خَيرَ إِلَّا خَيرُكَ، وَلَا طَيرَ إِلَّا طَيرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ**)).[٢٥٠]

ومعناه: إعلان العبد أنه متوكل على ربه تعالى، واعترافه بأن الطير خلق مسخر

٢٤٨ . المسند (١٨٢٤).
٢٤٩ . مسلم (٢٥٣٧).
٢٥٠ . المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٢/١٠/٧٠٤٥)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٥).

مملوك لله تعالى، لا يأتي بخير ولا يدفع شراً، وأنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا خير الله تعالى، فكل خير فيهما فهو من الله تعالى تفضلاً على عباده وإحساناً إليهم، فله الحمد كله،وإليه يُرجع الأمر كله.

الثاني: قول: ((**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**)).[٢٥١]

٤. التفاؤل، فالنبي ﷺ كان يحب التفاؤل وهذا من حسن ظنه ﷺ بربه جل وعلا، روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشدُ يا نجيحُ.[٢٥٢]

فعلى المؤمن ألا يظن بربه إلا خيراً، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**))، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: ((**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**)).[٢٥٣]

ومعنى التفاؤل، مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من الكلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالبُ ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأُ من مرضه، ويجدُ ضالته، ونحو ذلك.

---

٢٥١ . سنن أبي داود (٣٩١٩)، وصححه النووي في رياض الصالحين برقم (١٦٧٧).

٢٥٢ . الترمذي (١٦١٦)، وقال: حسن غريب.

٢٥٣ . صحيح البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٣/١١٢).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهى.[٢٥٤]

وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**)) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.[٢٥٥]

مقصود هذا الباب ذكر ما يجوز من علم النجوم، وما لا يجوز، وما ورد فيه من الوعيد.[٢٥٦]

والتنجيم، أصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها، فتقول: إذا طلع النجم حلَّ عليك مالي: أي الثريا، وكذلك باقي المنازل.[٢٥٧]

---

٢٥٤ . هذا الأثر علقه البخاري، ك/بدء الخلق، باب في النجوم.قال ابن حجر في الفتح: وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به. (٦/٣٤١).

٢٥٥ . رواه ابن حبان (٥٣٤٦)والحديث فيه مقال، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٦٧٤/٢٥٣٩).

٢٥٦ . تيسير العزيز الحميد (٣٢٧).

٢٥٧ . النهاية لابن الأثير (٥/٢١).

قال شيخنا العثيمين رحمه الله: التنجيم تفعيل من النجم، ومعنى نجم، أي: تعلم علم النجوم، أو اعتقاد تأثير النجوم.

وعلم التنجيم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير.

والثاني: علم التسيير.

- **أما القسم الأول**: وهو علم التأثير، فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر، وكفر بإجماع المسلمين.

الثاني: أن يجعل هذه النجوم سبباً يُدعى به علم الغيب، فيُستدل بحركاتها، ومنازلها، واجتماعها وافتراقها على أنه سيحدث كذا وكذا.

قال الشيخ سليمان: اختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك، وينبغي أن يُقطع بكفره لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه. وهو اختيار شيخنا العثيمين رحمه الله.

الثالث: أن يعتقدها سبباً لحدوث الخير والشر، فهذا شرك أصغر، أي أنه إذا وقع شيء نسبه للنجوم ولا ينسب للنجوم شيئاً إلا بعد وقوعه.

- **القسم الثاني**: علم التسيير، وهو: علم يستدل به على الجهات، والأوقات، فهذا جائز، وقد يكون واجباً كما قال الفقهاء.

قال العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: [٢٥٨]

علم النجوم على العقول وبال ... وطلابُ شيءٍ لا ينال ضلال

هيهاتَ ما أحدٌ مضى ذو فطنةٍ ... يدري متى الأرزاقُ والآجالُ

إلا الذي هو فوقَ سبعِ سمائه ... ولوجهه الإعظامُ والإجلالُ

٢٥٨ . انظر: مختصر الفتاوى المصرية (٢٩٧/١) تيسير العزيز الحميد (٣٢٧)، معارج القبول للحكمي (٢م٧٠١)، القول المفيد لشيخنا العثيمين (١٠٤.١٠٢/٢)، المجموع الثمين من فتاوى الشيخ العثيمين (١٤١/٢)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٤١٩/٣).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الإِسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ))

وَقَالَ: ((النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ)) رواه مسلم.[٢٥٩]

ولهما عن زيد بن خالد ﷺ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)).[٢٦٠]

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا، وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.[٢٦١]

مقصود هذا الباب التحذير من الإستسقاء بالأنواء، وبيان أنه من أفعال الجاهلية التي تنافي التوحيد.

---

٢٥٩ . صحيح مسلم (٢٩/٩٣٤).

٢٦٠ . صحيح البخاري (١٠٣٨)، مسلم (١٢٥/٧١).

٢٦١ . هذا الحديث انفرد به مسلم في صحيحه برقم (١٢٧/٧٣).

والإستسقاء: استفعال من السقيا، أي طلب إنزال الغيث على البلاد والعباد.

والأنواء على الحقيقة النجوم التي هي منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة، يبدو لعين الناظر منها أربعة عشر منزلاً، ويخفى أربعة عشر، فكلما غاب منها منزل بالمغرب طلع رقيبه بالمشرق، فليس يعدم منها أربعة عشر للناظرين أبداً في السماء، وإذا لم ينزل مع النوء ماء، قيل: خوى النجم وأخوى، وخوى النوء وأخلف.

وأما العرب فكانت تضيف المطر إلى النوء، وهذا عندهم معروف مشهور في أخبارهم وأشعارهم، فلما جاء الإسلام نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، وأدبهم وعرفهم ما يقولون عند نزول المطر، وذلك أن يقولوا: مطرنا بفضل الله ورحمته، ونحو هذا من الإيمان والتسليم لما نطق به القرآن. [٢٦٢]

ولا شك أن الإستسقاء بالأنواء أمر محرم، وهو من الأفعال التي تنافي التوحيد.

وقد قَسَّمَ أهل العلم الإستسقاء بالأنواء من جهة أثره على التوحيد إلى قسمين:

- **الأول**: ما يُعد شركاً أكبر، وهذا له صورتان:

إحداهما: أن يدعو الأنواء بالسقاء، كأن يقول: يا نوء كذا أسقنا؛ ووجه كونه شركاً أكبر أنه دعا غير الله تعالى،وهذا هو حقيقة الشرك في الإلهية.

والصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إليها على أنها فاعلة بنفسها دون الله تعالى، وهذا هو حقيقة الشرك في الربوبية.

- **والقسم الثاني**: ما يُعد شركاً أصغر، وهو اعتقاد كون الأنواء سبب لحصول الأمطار، مع اعتقاد أن المدبر والمتصرف هو الله جل وعلا؛ وهذا ما حصل من بعض الصحابة عندما قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا، بدليل الإتيان بباء السببية.

٢٦٢ . التمهيد لابن عبد البر (٣٣٧/٥)، وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٤٢/٢).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية.

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)) أخرجاه.[٢٦٣]

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)).[٢٦٤]

وفي رواية: ((**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى...**)) إلى آخره.[٢٦٥]

---

٢٦٣ . صحيح البخاري (١٥)، ومسلم (٧٠/٤٤).
٢٦٤ . صحيح البخاري (١٦)، ومسلم (٣١).
٢٦٥ . صحيح البخاري (٦٠٤١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً. رواه ابن جرير.[٢٦٦]

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] قال: المودة.[٢٦٧]

مقصود هذا الباب التنبيه على وجوب محبة الله تعالى، إذ أن محبة الخالق جل وعلا هي أصل دين الإسلام، الذي تدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان.[٢٦٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة: إما عن محبة محمودة، وإما عن محبة مذمومة.[٢٦٩]

قال أيضاً: محبة الله ورسوله على درجتين: واجبة وهي محبة المقتصدين. ومستحبة وهي درجة السابقين.

فالأولى: تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بحيث لا يحب شيئاً

٢٦٦ . رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣٩٦/٤٠٦/١)، وابن المبارك في الزهد (٣٥٣/١٢٠/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٧٠). وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، مختلط. ولم أجده في تفسير ابن جرير الطبري، ولعل المصنف رحمه الله تبع الحافظ ابن رجب حيث عزاه في جامع العلوم والحكم إلى ابن جرير ومحمد بن نصر المروزي. انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٢٥/١).

٢٦٧ . رواه الحاكم في مستدركه (٣٠٧٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وضعفه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٠٠/١١).

٢٦٨ . تيسير العزيز الحميد (٣٤٦).

٢٦٩ . مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨/١٠).

يبغضه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى، وبغض ما حرمه الله تعالى، وذلك واجب. فإنّ إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أحبه، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى عنها، وذلك مستلزم لبغضها التام.

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦]

وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه.[٢٧٠]

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: الواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه اللهُ محبةً تُوجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه، كان ذلك فضلاً، وأن يكره ما كرهه الله كراهةً توجب له الكف عما حرم عليه منه. فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهاً، كان ذلك فضلاً. والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة في حبِّ المحبوبات،وبغض المكروهات.[٢٧١]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من أهل البدع والشركيات يتذرعون بالمحبة، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا بدافع المحبة، فكان في بيان النصوص الشرعية المتعلقة بالمحبة من الأمور التي تُظهر الحق للناس وتجليه، وتقطع الطرق الموصلة للشرك من الأهمية بمكان.

---

٢٧٠ . قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦٤).

٢٧١ . انظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب (٢/٣٩٥).

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان معنى المحبة وأنواعها.

المحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.[٢٧٢]

والمحبة تنقسم إلى قسمين: محبة عبادة، ومحبة طبيعية.

فأما محبة العبادة، فهي تنقسم إلى أربعة أقسام:

وقد نبه الإمام ابن القيم على أهمية العلم بأنواع المحبة فقال:

وهاهنا أربعة أنواع من المحبة، يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها.

أحدها: محبة الله تعالى، ولا يكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب، واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب مع الله لا لله، ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين.[٢٧٣]

---

٢٧٢ . مدارج السالكين (٣/١١).

٢٧٣ . الجواب الكافي لابن القيم (١٩٩).

والأصل في إثبات هذا النوع من المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

ولأهل العلم في تفسير هذه الآية قولان مشهوران:

الأول: أن أصحاب الأنداد يحبون أندادهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً، وهذ ا اختيار الزجاج، وابن تيمية، وابن القيم رحم الله الجميع.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله. ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم، وهذا قول ابن عباس وجماعة من السلف واختاره الفراء وابن جرير الطبري.[٢٧٤]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذُمُوا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة، ولم يخلصوا لله كمحبة المؤمنين له.

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار يقولون لآلهتهم وأندادهم، وهي مُحضرة معهم في العذاب: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية، وإنما سووهم في المحبة والتعظيم. وهذا أيضاً هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] أي: يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم، وهذا أصح القولين.[٢٧٥]

---

٢٧٤ . انظر: تفسير ابن جرير (٢/٧١)، و زاد المسير (١/١٧٠)، بدائع التفسير (١/٢٧٢).

٢٧٥ . مدارج السالكين لابن القيم (٣/٢٢). وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/١٧٠).

وأما المحبة الطبيعية، فهي ثلاثة أقسام:

الأول: محبة إجلال وإعظام، كمحبة الولد لوالده.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد للولد.

الثالث: محبة مشاكلة واستحسان، كمحبة الناس بعضهم بعضاً.[٢٧٦]

الوقفة الثانية: في بيان أسباب محبة الله تعالى.

الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه، ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنُّم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

٢٧٦ . انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/ ٢٨٠).

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها.

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة برِّه وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبوب إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق.[٢٧٧]

قال شيخ الإسلام: حلاوة الإيمان التي يجدها المؤمن تتبع كمال محبة العبد لله تعالى، وكمال محبة العبد لله تعالى تكون بثلاثة أمور:

---

٢٧٧ . مدارج السالكين لابن القيم (١٨/٣).

تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها.

فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهية الإلقاء في النار.[٢٧٨]

٢٧٨ . انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٠٦/١٠).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: ((**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**)).[٢٧٩]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْه، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاس**)) رواه ابن حبان في صحيحه.[٢٨٠]

---

٢٧٩ . رواه أبو نعيم في الحلية، في ترجمة أبي يزيد البسطامي، وقال : وهذا الحديث مما ركب على أبي يزيد، والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه.ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال: محمد بن مروان السدي ضعيف. والحديث ضعيف، قال الشيخ سليمان بن عبدالله في التيسير: إسناده ضعيف، ومعناه صحيح. أما الشيخ الألباني فقال: موضوع.
انظر: الحلية لأبي نعيم (١٠/٤٢/١٤٤٦٠)، شعب الإيمان للبيهقي(١/١٥١). تيسير العزيز الحميد (٣٦٧).السلسلة الضعيفة للألباني (١٤٨٢).

٢٨٠ . موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (٢/٦٦٨/١٥٤٢). وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢/٥٤٧/٢٢٥٠).

مقصود هذا الباب بيان أن العبادة تقوم على: المحبة والخوف، فبالمحبة يكون امتثال الأمر، وبالخوف يكون اجتناب النهي.[٢٨١]

قال أبو سليمان الداراني: أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلُّ قلبٍ ليس فيه خوفٌ من الله فهو قلبٌ خربٌ.

والخوف: هو اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عَزَّوَجَلَّ.[٢٨٢]

والخوف أربعة أقسام:

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه فمن أشرك مع الله غيره، فهو مشرك شركاً أكبر، وذلك مثل أن يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء، ويعتقدون نفعهم وضرهم كما يفعله بعض عباد القبور، يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله. وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن، قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦]

الثاني: خوف يستلزم ترك ما يجب على الإنسان من الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو فعل ما يجب على الإنسان تركه، بغير عذر إلا الخوف من الناس، فهذا محرم، وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها، وهو الذي جاء فيه الوعيد ففي سنن ابن ماجه وصححه البوصيري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ**))، قَالُوا: كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ: ((**يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى**)).[٢٨٣]

---

٢٨١ . انظر: القول المفيد لشيخنا العثيمين (٢/١٦٤).

٢٨٢ . مدارج السالكين (١/٥١٠).

٢٨٣ . رواه ابن ماجه (٤٠٠٨).

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان، وإنما يكون محموداً إذا لم يُوقع في القنوط واليأس من روح الله، ولهذا قال شيخ الإسلام: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله،فما زاد فهو غير محتاج إليه.

الرابع: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو، وسبع، وغرق، ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨][٢٨٤]

٢٨٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٦١)، القول المفيد لشيخنا العثيمين (٢/١٦٦).

بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية

وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ رواه البخاري والنسائي.[٢٨٥]

مقصود هذا الباب بيان أن التوكل من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، فالواجب على العبد أن يتوكل على الله جل وعلا، قال سعيد بن جبير رحمه الله: التوكل على الله عز وجل جماع الإيمان.[٢٨٦]

والتوكل على الله تعالى معناه: الاعتماد على الله تعالى كفاية، وحسباً في جلب المنافع، ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان، وعلاماته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

وفي الباب الوقفات الآتية:

---

٢٨٥ . صحيح البخاري (٤٥٦٣).

٢٨٦ . الزهد لهناد السري (١/٣٠٤).

الوقفة الأولى: علاقة التوكل بالتوحيد.

علاقة التوكل بكتاب التوحيد فيما يظهر لي من وجهين:

الأول: أن الإيمان والتوحيد لا يتم إلا بالتوكل كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ومن كمل في إيمانه وتوحيده سلم من الشرك.

والثاني: أن ضعف التوكل لدى العبد يؤول به إلى الشرك بالله تعالى، وذلك أن العبد إذا صدق في توكله على الله جل وعلا كفاه الله تعالى أمور الدنيا والدين ويسر له حوائجه ودفع عنه أنواع الضرر.

وعندما يضعف التوكل ويحتاج العبدُ أمراً من أمور الدنيا، فإنه يلتفت بقلبه وجوارحه إلى غير الله تعالى في جلب المنافع ودفع المكاره.

الوقفة الثانية: في بيان أنواع التوكل.

التوكل أربعة أنواع:

الأول: التوكل على الله تعالى، وهذا من واجبات الإيمان ومكملاته. وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله،وأنه ما شاء كان،وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم، وهذا الاعتماد، والثقة، فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أمله.[٢٨٧]

الثاني: توكل السِّر، بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة، فهذا شرك أكبر، لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فرق بين أن يكون الميت نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدواً لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير، مع الشعور بعلو مرتبته، وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش، ونحوه، فهذا نوع من الشرك الأصغر، لقوة تعلق القلب به، والاعتماد عليه.

أما لو اعتمد عليه على أنه سبب، وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده، فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل، بحيث يُنيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة، فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.[٢٨٨]

الوقفة الثالثة: في التوكل وفعل الأسباب.

التوكل عند أهل السنة والجماعة مرتبط بعمل الأسباب التي أمر الله تعالى بالقيام بها.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي للناس كُلِّهِم (يتوكلون) على الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن يعودون

٢٨٧ . انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢٩٤). والقول السديد للسعدي (١٠١).
٢٨٨ . انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (٦/٥٤).

أنفسهم بالكسب، فمن قال بخلاف هذا القول فهذا قول إنسان أحمق.[٢٨٩]

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فالتوكل والحسب بدون قيام الأسباب المأمور بها عجز محض، فإن كان مشوباً بنوعٍ من التوكل، فهو توكُّل عجز، فلا ينبغي للعبد أن يجعلَ توكُّلَهُ عجزاً، ولا يجعلَ عجزَه توكلاً، بل يجعل توكُّلَه مِن جملة الأسباب المأمور بها التي لا يَتِمُّ المقصودُ إلا بها كلِّها.

ومن هاهنا غلط طائفتان من الناس، **إحداهما**: زعمت أن التوكلَ وحده سبب مستقلّ كافٍ في حصول المراد، فعطَّلت له الأسبابَ التي اقتضتها حِكمةُ اللَّه الموصلة إلى مسبّباتها، فوقعوا في نوع تفريط وعجز بحسب ما عطَّلوا من الأسباب، وضَعُفَ توكُّلُهم من حيث ظنوا قوتَه بانفراده عن الأسباب، فجمعوا الهمَّ كُلَّه وصيَّروه هماً واحداً، وهذا وإن كان فيه قوة من هذا الوجه، ففيه ضَعفٌ من جهة أُخرى، فكلما قوي جانبُ التوكل بإفراده، أضعفه التفريطُ في السبب الذي هو محلُّ التوكل، فإن التوكلَ محلُّه الأسباب، وكمالُه بالتوكل على اللَّه فيها، وهذا كتوكل الحرَّاثِ الذي شق الأرض، وألقى فيها البِذر، فتوكل على اللَّه في زرعه وإنباتِه، فهذا قد أعطى التوكُّل حقه، ولم يضعُف توكُّله بتعطيل الأرض وتخليتها بوراً، وكذلك توكُّل المسافر في قطع المسافة مع جِدِّه في السَّيْرِ، وتوكُّل الأكياس في النجاة من عذاب اللَّه والفوزِ بثوابه مع اجتهادهم في طاعته، فهذا هو التوكلُ الذي يترتَّبُ عليه أثرُه، ويكون اللَّهُ حَسْبَ مَن قام به. وأما توكلُ العجز والتفريطِ، فلا يترتبُ عليه أثرُه، وليس اللَّه حَسْبَ صاحِبه، فإن اللَّه إنما يكون حَسْبَ المتوكِّل عليه إذا اتّقاه، وتقواه: فعلُ الأسباب المأمور بها، لا إضاعتُها.

والطائفة الثانية: التي قامت بالأسباب، ورأت ارتباطَ المسبّبات بها شرعاً وقدَراً، وأعرضت عن جانب التوكل، وهذه الطائفةُ وإن نالت بما فعلته من الأسباب ما نالته، فليس لها قوةُ أصحابِ التوكل، ولا عونُ اللَّه لهم وكفايتُه إياهم ودفاعُه عنهم، بل هي مخذولةٌ عاجزة بحسب ما فاتها من التوكّل.

٢٨٩ . الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/٢٧٠).

فالقوّةُ كلُّ القُوَّة في التوكل على الله كما قال بعضُ السَلَف: مَن سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، فالقوةُ مضمونة للمتوكِّل، والكفاية والحَسْبُ والدفع عنه، وإنما يَنْقُصُ عليه من ذلك بقدر ما يَنْقُصُ من التقوى والتوكل، وإلا فمع تحققه بهما لا بد أن يجعل الله له مخرجاً مِن كُلِّ ما ضاق على الناس، ويكونُ اللَّهُ حسبَه وكافيه، والمقصودُ أن النبي ﷺ أرشد العبدَ إلى ما فيه غايةُ كماله، ونيلُ مطلوبه، أن يحرصَ على ما ينفعُه، ويبذُلَ فيه جهده، وحينئذ ينفعُه التحسُّب وقولُ: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، بخلاف مَن عجز وفرَّط حتى فاتته مصلحته، ثم قال: (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكيلُ)، فإن الله يلومه، ولا يكون في هذا الحال حَسْبَه، فإنما هو حَسَبُ مَن اتَّقاه، وتوكَّل عليه.[٢٩٠]

٢٩٠ . زاد المعاد (٢/٢٦٤).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

وقوله: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر فقال: ((**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ**)).[٢٩١]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكبر الكبائر: الاشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق.[٢٩٢]

مقصود هذا الباب بيان أن الواجب على العبد أن يكون خائفاً من الله تعالى راجياً له، راغباً راهباً، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عذابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضل الله تعالى العام والخاص وعفوه الشامل رجاه وطمع فيما عنده، فالخوف والرجاء من أكبر أصول التوحيد، وواجبات الإيمان.

وفي الباب وقفتان اثنتان:

٢٩١ . قال الهيثمي في المجمع (١/٢٩٤/٣٩١): رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجاله موثقون.
٢٩٢ . المصنف لعبد الرزاق (١٩٧٠١)، وقال الهيثمي في المجمع (١/٢٩٤/٢٩٢): وإسناده صحيح.

الوقفة الأولى: في التحذير من غلو الخوف أوالرجاء.

يجب على العبد الحذر من خصلتين:

إحداهما: استيلاء الخوف على العبد حتى يقنط من رحمة الله تعالى، ورَوْحِه، وهذا من كبائر الذنوب كما في حديث ابن عباس وابن مسعود اللذين ذكرهما المصنف رحمه الله.

والغلو في الخوف راجع إلى سببين:

إسراف العبد على نفسه وجرأته على محارم الله تعالى، فيقع بسبب ذلك في الإصرار على المعصية لقطعه الأمل في رحمة الله تعالى وهذا غاية من يريده الشيطان.

تغليب جانب الخوف بسبب المعصية مع ضعف العلم بالله تعالى وما عنده من الرحمة والمغفرة، فيظن أن الله لا يغفر له ولو تاب إليه؛ ومن هنا يجدر التنبيه على ما يطرحه بعض الوعاظ وأهل القصص من الأخبار التي أوقعت أو ساعدت في وقوع بعض العوام في القنوط من رحمة الله تعالى.

والخصلة الثانية: التمادي في الرجاء حتى يقع في الأمن من مكر الله تعالى.

والغلو في الرجاء والتمادي فيه يرجع إلى أمرين:

الاعراض عن الدين والغفلة عن معرفة رب العالمين وماله من الحقوق، والتهاون بذلك.

إعجاب العبد بعمله وهذا حال العابد الجاهل.[٢٩٣]

٢٩٣ . انظر: القول السديد للسعدي (٣٠).

الوقفة الثانية: في بيان حدّ الرجاء وأنواعه.

الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، والدار الآخرة، ويطِّيب لها المسير.

والرجاء هو: الثقة بجود الله تعالى، ولا يصدق على العبد كونه راجياً إلا إذا وجدت فيه ثلاثة أمور:

١. **محبة ما يرجوه.**

٢. **خوفه من فواته.**

٣. **سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.**

ورجاءٌ لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب غرور الأماني.

والرجاء ثلاثة أنواع:

فالأول: رجاء رَجُلٍ عمل بطاعة الله تعالى على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه.

والثاني: ورَجُلٍ أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه، وهذا الرجاء والذي قبله من الرجاء المحمود.

والثالث: ورَجُلٍ متمادٍ في التفريط والخطايا، ويرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو التمني والغرور والرجاء الكاذب.

بَابٌ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَه﴾

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.[٢٩٤]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ)).[٢٩٥]

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)).[٢٩٦]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[٢٩٧]

وقال ﷺ: ((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ. وَإِنَّ اللَّهَ، إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ. فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَى. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ)) حسنه الترمذي.[٢٩٨]

---

٢٩٤ . رواه ابن جرير في التفسير (٢٤١٩٤/١١٦/١٢)

٢٩٥ . مسلم في الصحيح (٦٧).

٢٩٦ . البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (١٠٣).

٢٩٧ . رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال الألباني: حسن صحيح، وفي السلسلة الصحيحة له برقم (١٢٢٠).

٢٩٨ . الترمذي في جامعه (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وإسناده حسن، انظر: السلسة الصحيحة للألباني برقم (١٤٦).

مقصود هذا الباب بيان أن الصبر على أقدار الله تعالى من واجبات التوحيد ومكملاته، وأن الجزع والتسخط على أقدار الله تعالى من منقِّصات التوحيد.[٢٩٩]

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كُلُّه.[٣٠٠]

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في بيان أنواع الصبر وكيفية تحقيقه.

الصبر أنواعٌ ومراتب، يتفاوت فيها الناس تفاوتاً عظيماً، وعندما سُئل ربيعة بن عبدالرحمن رحمه الله عن منتهى الصبر؟ قال: يكونُ يومَ تُصيبه المصيبة مثله قبل أن تُصيبه.[٣٠١]

والصبر ثلاثة أنواع:

١. صبر على طاعة الله تعالى، بأن يُؤدي الإنسان ما أمر الله تعالى به، وإن كان فيه مشقة عليه.

٢. وصبر عن معصية الله تعالى، فيجتنب ما نهى الله تعالى عنه، وإن كانت النفس تميل إلى الشهوات وتهواها، فإنه يصبر ويحبس النفس عن مواقعة الحرام.

٣. وصبر على أقدار الله المؤلمة، إن أصابه ما يكره صبر، واحتسب الأجر من الله تعالى، ومنع النفس عن التسخط والجزع.

---

٢٩٩ . انظر: إعانة المستفيد للفوزان (١٠٧/٢).

٣٠٠ . الزهد لوكيع بن الجراح (٤٥٦/٢).

٣٠١ . الدر المنثور (٣٧٨/١).

ويُمكن تحقيق الصبر بثلاثة أمور:

١. حبس النفس عن الجزع والسخط.

٢. حبس اللسان عن الشكوى للخلق.

٣. حبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر، كالنياحة، وضرب الخدود، وشق الجيوب.[٣٠٢]

الوقفة الثانية: في بيان علاقة الصبر بالتوحيد.

علاقة الصبر بالتوحيد من جهتين:

الأولى: أن الصبر عبادة من أجل العبادات التي أثنى الله تعالى على من قام بها ووعدهم بالبشرى، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

والثانية: أن قلة الصبر على المصائب أوقع كثيراً من الناس في الشرك بالله تعالى.

الوقفة الثالثة: في بيان حال الناس مع المصائب.

مما لا شك فيه أن من رزق الصبر فقد رُزق الخير كُلَّه، وطابت له حياته، قال عمر رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا الصبر.[٣٠٣]

وللناس مع المصائب أربعة أحوال:

١. **السخط**، وهو ضد الصبر، وهو محرم ومن كبائر الذنوب كما في أحاديث كثيرة.

٣٠٢ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٩٣)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/١٠٨-١٠٩).

٣٠٣ . عدة الصابرين لابن القيم (١٢٤).

٢. **الصبر على المصائب**، وهذا هو الواجب على المسلم.

٣. **الرضى بالمصائب**، والصحيح أنه مستحب وليس بواجب كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤. **الشكر على المصائب**، وهو قوله بلسانه: الحمد لله.

ومن أراد أن يعرف حال أهل التوحيد عند المصائب والضراء، فإنه يجد أنهم بين ثلاثة أحوال بالآتي:

١. **صبرٌ بمعناه الكامل على أقدار الله المؤلمة.**

٢. **حسنُ ظنٍ بالله تعالى.**

٣. **التجاءٌ إلى الله تعالى، وسؤاله العافية، والمثوبة على ذلك.**

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: ((**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**)) رواه مسلم.[٣٠٤]

وعن أبي سعيد مرفوعاً: ((**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**)) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: ((**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**)) رواه أحمد.[٣٠٥]

مقصود هذا الباب التحذير من الرياء، لأن الرياء منافٍ للتوحيد وكماله.

وفي الباب الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: في حكم الرياء.

الرياء هو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدونه عليها. وهومن كبائر الذنوب، وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة في الترهيب من الرياء، ففي الصحيح أنه

٣٠٤ . مسلم (٢٩٨٥).

٣٠٥ . المسند (١١٢٧٢) وحسنه أحمد شاكر، وابن ماجه (٤٢٠٤)، وقال البوصيري: هذا إسناد حسن.

ﷺ قال: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)).[٣٠٦]

وفي الطبراني أنه ﷺ قال: ((مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وصَغَّرَهُ وحَقَّرَهُ)).[٣٠٧]

وأخرج ابن ماجه قوله ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ)).[٣٠٨]

والرياء على درجتين:

الدرجة الأولى: رياءُ المنافقين، وهو أن يقصد بجميع أعماله الدينية مراءاة الناس، ولا يقصد بها وجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ولا شك أن هذا النوع من الرياء يُعدُ شركاً أكبر.

٣٠٦ . رواه مسلم في الصحيح (١٩٠٥).
٣٠٧ . رواه الطبراني في الكبير بأسانيد أحدها صحيح كما قال المنذري في الترغيب، وصححه الألباني (٢٥).
٣٠٨ . ابن ماجه (٤٢٠٢) وصححه البوصري في الزوائد.

والثانية: المراءاة ببعض العمل، فهذا من الشرك الأصغر، أو الخفي، كما قال ﷺ: ((الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ)).[٣٠٩]

الوقفة الثانية: في حكم العبادة التي خالطها الرياء.

العبادة التي خالطها الرياء لا تخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، فهذا شرك، والعبادة باطلة.

والثانية: أن يطرأ الرياء أثناء العبادة، وفي حكم هذه العبادة تفصيل:

فإن كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها، فأولها صحيح، والباطل آخرها، كمن تصدق بمئة ريال لوجه الله تعالى، ثم زاد الصدقة مئةً أخرى لما أحس بنظر الناس إليه، فالمئة الأولى صحيحة، والثانية باطلة لا أجر له فيها.

وإن كانت العبادة ينبني آخرها على أولها، فتبطل جميع العبادة، كالصلاة.

والحالة الثالثة: أن يطرأ الرياء بعد انتهاء العبادة، فإنه لا يُؤثر على العبادة شيئاً.[٣١٠]

٣٠٩ . انظر إعانة المستفيد للفوزان (١٢٢/٢)، والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٣٩٨).

٣١٠ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢٢٧/٢).

بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ الآيتين

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثُ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ، كَانَ فِي السَّاقَةِ، وَإِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شُفِّعَ لَمْ يُشَفَّعْ**)).[٣١١]

مقصود هذا الباب التحذير من أن يعمل العبد عملاً دينياً بقصد الحصول على أغراضٍ دنيوية، وأن ذلك من الشرك الأصغر، الذي يجب على العبد أن يحذر من الوقوع فيه، لأن التوحيد لا يكمل إلا بتوحيد الله تعالى في القصد والنية.

والفرق بين هذا الباب والذي قبله: أن الباب الذي قبله في الرياء، أي: يعمل ليمدح، فيصلي ليُمدح، ويتصدق ليُمدح، ويحج ليُمدح، وهذا الباب في إرادة الإنسان بعمله الدنيا، فهو يعمل الأعمال الشرعية من أجل المال أو المرتبة أو الصحة، وما أشبه ذلك، وليس من أجل المدح أو مراءات الناس.[٣١٢]

٣١١ . أخرجه البخاري (٢٨٨٦).

٣١٢ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢/٢٤٢)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/١٣٥).

من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا.

وقال ابن عباس: يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وقال الإمام أحمد عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة، الشرك لعله إذا رَدَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُم! قَالَ: ((**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**))، فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: ((**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**)) رواه أحمد والترمذي وحسنه.[٣١٣]

مقصود هذا الباب التنبيه على وجوب اختصاص الخالق جل وعلا بالطاعة، وأنه لا يُطاع أحدٌ من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجةٌ تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحدٍ من الخلق استقلالاً.

وأخص ما تكون الطاعة في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام.[٣١٤]

---

٣١٣ . الترمذي (٣٠٩٥) وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث، والحديث حسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان (٦٤).

٣١٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٠٩)، والتعليق المفيد للشيخ ابن باز (١٩٥).

ومن الإخلال بالتوحيد أن يُطاع المخلوق في التحليل والتحريم مخالفاً بذلك شرع الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهؤلاء الذين: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل، اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله، مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ.

فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**))، وقال: ((**عَلَى الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَالَمْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ**))، وقال: ((**لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**))، وقال: ((**مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلاَ تُطِيعُوهُ**))، ثم ذلك المُحرم للحلال والمُحلل للحرام، إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول ﷺ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يُثيبُه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ﷺ إذا اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول ﷺ، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع

في ذلك هواه، ونصره باللسان واليد، مع علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ، وأما إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن الحق معه، فهذا من أهل الجاهلية، فإن كان متبوعه مصيباً كان عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطئاً كان آثماً، كمن قال في القرآن برأيه فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار. ا هـ [٣١٥]

٣١٥ . انظر مجموع الفتاوى (٧/٧٠).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ الآيات.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

وقوله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لَمَّا جِئْتُ بِهِ))، قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.[٣١٦]

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود. لعلمه أنهم يأخذون الرشوة فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية.[٣١٧]

وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر رضي الله عنه فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك قال نعم فضربه بالسيف فقتله.[٣١٨]

---

٣١٦ . أخرجه البغوي في شرح السنة (١٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥). قال ابن رجب في جامع العلوم (٣٩٤/٢): تصحيح هذا الحديث بعيد جدا. لكن قال شيخنا العثيمين في شرح الأربعين (٤٢٧): معنى الحديث بقطع النظر عن إسناده صحيح.

٣١٧ . رواه ابن جرير في التفسير (٩١٩٨/١٥٦/٢)

٣١٨ . انظر : تفسير البغوي (٣١٤)، زاد المسير لابن الجوزي (١١٦/٢).

مقصود هذا الباب تقرير وجوب التحاكم إلى رسول الله ﷺ عند النزاع، وهذا التحاكم حق للرسول ﷺ على أمته، وهو من لوازم شهادة أن محمداً رسول الله، ولا يستقيم التوحيد إلا بذلك. [٣١٩]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: وجوب التحاكم إلى الله والرسول.

يجب في كل ما تنازع فيه الناس أن يُرد إلى الله ورسوله ﷺ، سواء كان هذا التنازع في أصول الدين أو فروعه فإن الكتاب والسنة فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية.

فالإيمان يقتضي الانقياد لحكم الله والرسول ﷺ في كل أمر من الأمور، ومن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله والرسول فهو كاذب في ذلك، وهذا من إضلال الشيطان إياهم كما قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] [٣٢٠]

٣١٩ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤١٧).
٣٢٠ . انظر: تفسير السعدي (١٤٨).

الوقفة الثانية: في بيان مراتب الناس في اتباع الهوى والهدى.

الناس في اتباع الهوى والهدى مراتب:

المرتبة الأولى: من كان هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فهذا هو حال المؤمن الكامل في إيمانه.

المرتبة الثانية: من كان ما جاء به الرسول ﷺ تابعاً لهواه، فهذا حال الكافر والعياذ بالله.

المرتبة الثالثة: من كان هواه تابعاً لبعض لما جاء به الرسول ﷺ دون بعض، فإن كان في أصول الدين دون فروعه فهذا حال ناقص الإيمان من المسلمين.

وإن كان العكس، أي: أن هواه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ في الفروع دون الأصول، فهذا هو حال المنافق.[٣٢١]

---

٣٢١ . انظر: التعيين في شرح الأربعين للطوفي (٣٣٢).

بَابُ: مَا جَحَدَ شَيئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾

وفي صحيح البخاري قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟.[٣٢٢]

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمة ويهلكون عند متشابهة. انتهى.[٣٢٣]

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.[٣٢٤]

مقصود هذا الباب التحذير من جحد شيء من أسماء الله وصفاته، لأن ذلك منافٍ لأصل التوحيد، بل هو من صفات المشركين، كما فعل كفار قريش مع النبي ﷺ في إنكارهم اسم: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ لله تعالى.

إن أصل الإيمان وقاعدته التي يُبنى عليها: الإيمان بالله بأسمائه وصفاته، فكلما قوي علم العبد بذلك، وإيمانه به، وتَعبَّد لله بذلك قوي إيمانه وتحقق توحيده وكمل.

٣٢٢ . أخرجه البخاري (١٢٧).
٣٢٣ . المصنف لعبد الرزاق (٢٠٨٩٥).
٣٢٤ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٠٣٩٧).

والجحود لأسماء الله تعالى وصفاته وإنكارها نوعان:

أحدهما: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحداً أنكر اسماً من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يداً، أو أن الله لم يستوي على عرشه، فهذا كافر بإجماع المسلمين، لأن تكذيب خبر الله ورسوله ﷺ كفر مخرج من الملة بالإجماع.

والثاني: إنكار تأويل، وهو إما أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة، فهذا لا يُوجب الكفر.

والثالث: أن لا يكون له مسوغ في اللغة، فهذا كفر والعياذ بالله، وهذا في حق غير المقلد.[٣٢٥]

تنبيه!

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ومالك في أحاديث الصفات وأبو يوسف في الغرائب.[٣٢٦]

٣٢٥ . انظر: القول السديد للسعدي، باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

٣٢٦ . انظر الفتح لابن حجر (٢٧٢/١).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا.[٣٢٧]

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ)) الحديث وقد تقدم، وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذُمُّ سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

مقصود هذا الباب التنبيه على أن إضافة النعم إلى المنعم وهو الله ﷻ من الأمور الواجبة على الخلق، ومن أضاف النعم إلى غير الله تعالى فقد وقع فيما ينافي أصل التوحيد أو كماله بحسب اعتقاد ذلك القائل.

وفي الباب الوقفات الآتية:

٣٢٧ . انظر: تفسير البغوي (٧١٧).

الوقفة الأولى: في بيان حال الناس مع النعم.

حال الناس مع نعم الله تعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: فمن الناس من يُقر بقلبه ولسانه أن النعم كلها من الله تعالى وحده تفضلاً من غير استحقاق، ولسانه مشغولٌ بالثناء على الله تعالى بها، وهذا حال أهل التوحيد.

والثاني: ومنهم من يُقر بقلبه أن النعم كلها من الله تعالى وحده، وهو بلسانه تارة يُضيفها إلى الله تعالى، وتارة يُضيفها إلى نفسه وعمله، وإلى سعي غيره، كما هو حال كثير من الناس اليوم، فمن كان هذا حاله فإن في توحيده نقص، وعليه أن يتوب إلى الله تعالى من ذلك.

والثالث: وأما من أنكر نعم الله تعالى بقلبه ولسانه، فذلك كافر ليس معه من الدين شيء.[٣٢٨]

الوقفة الثانية: أهمية الشكر وبيان أركانه.

ذكر أهل العلم أن الشكر نصف الإيمان، وذلك أن الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

والشكر فضائله كثيرة: فقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به الخواص من خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن الجزاء، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه، وأن أهله هم القليل من عباده.[٣٢٩]

٣٢٨ . انظر: القول السديد للسعدي (١١٧).
٣٢٩ . انظر مدارج السالكين (٢/٢٣٩).

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ)).[٣٣٠]

وشكر النعم مبني على ثلاثة أركان، وهي:

١. اعتراف القلب بنعم الله تعالى كلها عليه وعلى غيره.

٢. التحدث بها، والثناء على الله بها، قال أبو نضرة: كانوا يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها.

٣. الاستعانة بالنعم على طاعة المنعم، وعبادته سبحانه.

الوقفة الثالثة: في إضافة النعم إلى الأسباب.

إضافة النعم إلى الأسباب على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إضافة النعم إلى سبب صحيح، ثابت شرعاً أو حِساً، فهذا جائزٌ بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثرٌ بنفسه، أو أن لا يتناسى المنعم بذلك.

والثانية: إضافة النعم إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سبباً لا شرعاً ولا حِساً، فهذا نوعٌ من الشرك الأصغر، كمن يُضيف إلى التولة أو القلائد منع العين وتأثيرها، لأنه أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً، فكان مشاركاً لله في إثبات الأسباب.

والثالثة: الإضافة إلى سبب خفيٍّ، لا تأثير له إطلاقاً، فهذا شركٌ أكبر، كأن يضيف حصول النعم، ودفع النقم للولي الفلاني، ولأنه شرك في الربوبية، كونه يعتقد أن هناك من يُدبر أمور الكون مع الله.[٣٣١]

٣٣٠ . أخرجه مسلم (٢٧٦٠).

٣٣١ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢/٣١٣-٣١٤).

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي.

وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص.

ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، قول الرجل: لولا الله وفلان.

لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم. [٣٣٢]

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**)) رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم. [٣٣٣]

وقال ابن مسعود ﷺ: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً. [٣٣٤]

وعن حذيفة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**)). رواه أبو داود بسند صحيح. [٣٣٥]

وجاء عن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: ولولا الله وفلان. [٣٣٦]

---

٣٣٢ . قال الشيخ سليمان في التيسير (٤٤٢): وسنده جيد.

٣٣٣ . الترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (٢٩٧/٤)، صوابه: عن ابن عمر.

٣٣٤ . أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٠٢)، قال الهيثمي في المجمع (٣١٨/٤) : رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

٣٣٥ . أبو داود (٤٩٨٠)، وصححه النووي في رياض الصالحين (١٧٤٨).

٣٣٦ . كتاب الصمت لابن أبي الدنيا (٣٤٧).

مقصود هذا الباب التنبيه على شرك الألفاظ، لأن توحيد العبد لا يتم حتى يُوحد الله في قوله وقلبه وفعله، ولا يجعل لله تعالى نِداً في قلبه وقوله وفعله.

والنصوص التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب تُفيد أن التنديد باللفظ يُعد من الشرك الأصغر، كقول بعضهم: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان، وأعوذ بالله وبك، وكذلك الحلف بغير الله تعالى، فالواجب الحذر من هذه الألفاظ، وصيانة اللسان من النطق بها.

ومن صان لسانه من الوقوع في هذا الشرك، فعليه أن ينسب النعم إلى المتفضل بها وحده وهو الله جل في عُلاه فيقول: لولا الله ما حصل كذا وكذا، وبهذا يكمُل توحيد العبد.

ولو قال: لولا الله ثم فلان، فإنه لا بأس في ذلك.

والسبب في المنع من العطف بـ(الواو) وجوازها بـ(ثم)، أن (الواو) يقتضي التشريك، و(ثم) لا تقتضي التشريك، وإنما تقتضي الترتيب والتعقيب.

وبهذا نعلم أن الألفاظ في نسبة النعم تكون على ثلاث درجات:

- **الدرجة الأولى**: أن يقول: لولا الله لما حصل كذا، فهذا هو الكمال.
- **والثانية**: أن يقول: لولا الله ثم فلان لما حصل كذا، فهذا جائزٌ.
- **والثالثة**: أن يقول: لولا الله وفلان، فهذا محرم لا يجوز.

بَابٌ: مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**)) رواه ابن ماجه بسند حسن.[٣٣٧]

مقصود هذا الباب التحذير من الأحوال التي تُنافي تعظيم الله تعالى، ومن ذلك ما جاء من الوعيد في حق من لم يقنع بالحلف بالله، لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية، إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله، وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك.[٣٣٨]

ومن هذا الباب نأخذ أن كمال التوحيد مبنيٌ على كمال التعظيم، فكلما كان التعظيم أكمل كان توحيد العبد أتم، والتعظيم لا يكمل في قلب العبد إلا بالمعرفة، فأعرف الناس بالله، أشدهم له تعظيماً وإجلالاً.[٣٣٩]

والوعيد الوارد في حديث الباب الصحيح أنه محمول على الحلف في الدعاوى، فمن حُلِفَ له بالله تعالى في الدعاوى، كمن يتحاكم عند القاضي فيحكم على خصمه باليمين، فيحلف، فيجب عليه أن يرضى تلك اليمين، ويسلِّم أمره لله تعالى.[٣٤٠]

٣٣٧ . ابن ماجه (٢١٠١)، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح، وصححه الألباني.
٣٣٨ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٤٩)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٣١).
٣٣٩ . انظر: مدراج السالكين لابن القيم (٢/٤٦٣).
٣٤٠ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٥٠).

بَابٌ: قَوْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون ! تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ((وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ)). رواه النسائي وصححه.[٣٤١]

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ: ((أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ)).[٣٤٢]

ولابن ماجه: عن الطفيل رضي الله عنه أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: ((هَلْ أَخْبَرْتِ بِهَا أَحَدًا؟)) قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا وَأَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ)).[٣٤٣]

---

٣٤١ . النسائي (٣٧٧٣)، وصححه ابن حجر في الإصابة (٨/٢٨٤)

٣٤٢ . النسائي في الكبرى (١٠٧٥٩) بلفظ ((أجعلتني لله عدلاً))، وابن ماجه (٢١١٧)، قال البوصيري: هذا إسناد فيه الأجلح بن عبدالله مختلف فيه، ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد، ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان وباقي رجاله ثقات.

٣٤٣ . ابن ماجه (٢١١٧)، قال البوصيري: رجال الإسناد ثقات على شرط البخاري. وصححه الألباني. قال الشيخ سليمان في التيسير(٤٥٠): هذا الحديث لم يروه ابن ماجه بهذا اللفظ عن الطفيل، وإنما رواه عن حذيفة.
والحديث وقع فيه بعض الاختلاف، لكن الحافظ ابن حجر رجح أن الحديث من رواية الطفيل، انظر الفتح (١١/٥٤٠).

مقصود هذا الباب صيانة التوحيد من بعض الألفاظ التي تُنافي تعظيم العبد لربه، ومن هذه ألفاظ التنديد، كقول: ما شاء الله وشئت، أو ما شاء الله وشاء فلان، وقول ما شاء الله وشئت، منافٍ للتوحيد وكماله، فمن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله تعالى في المشيئة، فقد وقع في الشرك الأكبر، ومن اعتقد أن المعطوف دون الله تعالى في المشيئة فقد وقع في شرك الألفاظ، الذي يُعد من الشرك الأصغر.

مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الآية

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)).[٣٤٤]

وفي رواية: ((**لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**)).[٣٤٥]

مقصود هذا الباب التحذير من سبِّ الدهر، لأن في سبَّ الدهر وقوع فيما يُنافي التوحيد أو كماله.[٣٤٦]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في بيان مفاسد سبّ الدهر.

في سب الدهر ثلاث مفاسد عظيمة:

المفسدة الأولى: أن في سَبِّه اعتداءٌ وظلم، فالدهر ليس بأهل أن يُسب، فإنه خلقٌ

٣٤٤ . أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).
٣٤٥ . صحيح مسلم (٢٢٤٦).
٣٤٦ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٥٧)، وحاشية ابن قاسم (٣١١).

مُسخر من خلق الله، مُنقادٌ لأمره مُذلّلٌ لتسخيره، فسابُّه أولى بالذم والسبِّ منه.

المفسدة الثانية: أن سبَّه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضرَّ من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبِّه كثيرة جداً، وكثير من الجهال يُصرح بلعنه وتقبيحه.

المفسدة الثالثة: أن السبَّ فيه إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق في أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر، وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فبمسبتهم الدهر مسبة لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى.[٣٤٧]

الوقفة الثانية: في حكم سب الدهر.

سبُّ الدهر أو ذمه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يُقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده وما أشبه ذلك، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾

٣٤٧ . انظر زاد المعاد لابن القيم (٢/٣٥٤).

الثاني: أن يُسبَّ الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً، لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر.

الثالث: أن يَسُب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك.[٣٤٨]

٣٤٨ . انظر: القول المفيد للعثيمين (٢/٣٥١)، وزاد المعاد (٢/٣٥٥).

بَابُ: التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ)).[٣٤٩]

قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وفي رواية: ((أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ)).[٣٥٠]

قوله: ((أَخْنَعَ)) يعني: أوضع.

مقصود هذا الباب التنبيه على اختصاص الله تعالى بالتعظيم المطلق، فالموحد لا يجعل مخلوقاً في منزلة الله جل وعلا فيما هو من خصائص الله، لذا نصَّ المصنف رحمه الله على المنع من التسمي بالأسماء التي معناها خاص بالله تعالى، كالتسمي بقاضي القضاة، أو ملك الأملاك.

فمن مقتضيات التوحيد ألا يُوصف بها إلا الله، وألا يُسمى بها إلا الله جل وعلا.[٣٥١]

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في سياق ما دلت الشريعة على تحريم التسمي به: كل اسم فيه دعوى ما ليس للمسمى، فيحمل من الدعوى والتزكية والكذب ما لا يقبل بحال.

٣٤٩ . أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣/٢٠).
٣٥٠ . أخرجها مسلم (٢١٤٣/٢١).
٣٥١ . انظر: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٤٧١-٤٧٢).

ومنه ما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الْأَمْلَاكِ...**)) الحديث، متفق عليه.

ومثله قياساً على ما حرمه الله ورسوله: سلطان السلاطين، حاكم الحكام، شاهنشاه، قاضي القضاة.

وكذلك تحريم التسمية بمثل: سيد الناس، سيد الكل، سيد السادات، ست النساء.[٣٥٢]

٣٥٢ . تسمية المولود (٢٠-٢١).

بَابٌ: اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عن أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)) فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: ((مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟)) قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ((فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)) قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: ((فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)) رواه أبو داود وغيره.[٣٥٣]

مقصود هذا الباب بيان أن من تحقيق التوحيد احترام أسماء الله تعالى وتعظيمها، وأن من تعظيمها عدم التسمي بها، مما لا يصلح إلا لله تعالى، وتغيير الاسم لأجل هذا.[٣٥٤]

قال ابن الأثير: في حديث أبي شريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فكناه النبي ﷺ بأبي شريح: وإنما كره له ذلك لئلا يُشارك الله تعالى في صفته.[٣٥٥]

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في سياق ما دلت الشريعة على تحريم التسمي به:

التسمية باسم من أسماء الله تبارك وتعالى فلا تجوز التسمية باسم يختص به الرب سبحانه، مثل: الرحمن، الرحيم، الخالق، البارئ...، وقد غَيَّر النبي ﷺ ما وقع من التسمية بذلك.

وفي القرآن العظيم: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، أي لا مثيل له يستحق مثل اسم الذي هو الرحمن.[٣٥٦]

---

٣٥٣ . أبو داود (٤٩٤٥)، وصححه ابن حبان(٥٠٤).

٣٥٤ . انظر تيسير العزيز الحميد (٤٦٥)، والتمهيد لآل الشيخ (٤٧٧).

٣٥٥ . الآداب لابن مفلح (٣/٢٩٦).

٣٥٦ . تسمية المولود (١٩).

بَابٌ: مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ الآية

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنِسعَة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كانا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.[٣٥٧]

مقصود هذا الباب التحذير من الهزل أو الاستهزاء بالله تعالى، أو بالرسول، أو بالقرآن، لأن ذلك مُنافٍ لأصل التوحيد.

ومن سبَّ، أو استهزأ بالله، أو بالرسول، أو بالقرآن فإنه كافرٌ الكفر الأكبر المخرج من الملة.

٣٥٧ . انظر: تفسير الطبري (١٦٩٣٠-١٦٩٣١)، وأسباب النزول للواحدي (٥١٣)، والصحيح من أسباب النزول للوادعي(١٢٢).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: الهزل بالكفر كفرٌ لا خلاف فيه بين الأُمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل،قال علماؤنا: انظروا إلى قوله: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.اهـ[٣٥٨]

وأما الاستهزاء بغير ذلك فينظر: إن كان راجعاً إلى الله تعالى، أو الرسول، أو القرآن فهو كفرٌ أكبر، وإن كان غير ذلك فإنه يكون محرماً ولا يكون كفراً أكبر.[٣٥٩]

٣٥٨ . أحكام القرآن (٢/٤٤٣).

٣٥٩ . انظر: التمهيد لصالح آل الشيخ (٤٨٢-٤٨٣).

بَابُ مَا جَاء فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الآية

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.[٣٦٠]

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ - قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، قَالَ: بَارَكَ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرًا حَسَنًا وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوِ اللإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: بَارَكَ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ

٣٦٠ . انظر: تفسير البغوي (١١٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (١٢٦١).

بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ؛ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ)) أخرجاه.[٣٦١]

لما كان من مقاصد هذا الكتاب بيان ما ينافي كمال التوحيد بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب أن من زعم استحقاق ما حصل له من النعم أنه قد وقع فيما يُنقص ويُنافي كمال التوحيد.

ومن تمام التوحيد وكماله أن يعظم العبدُ ربَه جل وعلا، ولا يعتقد استحقاق شيء من النعم، ولا أنه أوتي النعمة لجاهه، أو لجهده، أو لعمله، بل النعم فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٣٦١ . البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

والناس في هذا الباب أقسام:

١. فمن الناس من ينسب النعم إلى نفسه، وهذا كاذب في زعمه.

٢. ومن الناس من ينسب النعم إلى الله تعالى، لكنه يرى أنه مستحق لتلك النعم، وهذا من قلة تعظيم الله جل وعلا، ونقص توحيده.

٣. وأهل تمام التوحيد يرون أن النعم فضل من الله تعالى دون استحقاق للعبد فيها، وهكذا هم أهل التوحيد يعظمون ربهم جل وعلا، ويرون أنه المتفضل بالنعم والسابق بالإحسان سبحانه وبحمد.

بَابُ قول الله تعالى:
﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبدالمطلب.[٣٦٢]

وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن، يُخوفهما سمياه عبدالحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبدالحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم.[٣٦٣]

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.[٣٦٤]

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً؛ وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

---

٣٦٢ . مراتب الإجماع لابن حزم (٢٤٣).

٣٦٣ . أخرجه ابن جرير في التفسير (١٥٥١٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (٣٤٢)، قال ابن كثير (٢/٢٦٤): وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب. وقال شيخنا العثيمين: وهذه القصة باطلة من وجوه، وذكر ﷺ سبعة وجوه في بطلانها.

٣٦٤ . أخرجه ابن جرير (١٥٥٢١).

مقصود هذا الباب بيان أن تعبيد الأسماء لغير الله تعالى شركٌ يُنافي كمال التوحيد، إن كان المقصود مجرد التسمية، أما إن كان المقصود تعبيد التأله لغير الله فإنه شرك أكبر يُنافي أصل التوحيد.[٣٦٥]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

الوقفة الأولى: في التفسير الصحيح لآية الترجمة.

ظاهر صنيع المؤلف يدل على أنه يختار أن الآية في آدم وحواء كما هو اختيار بعض المفسرين.

والصحيح أن الآية ليست في آدم وحواء، وإنما في جنس ذرية آدم وحواء الذين أشركوا من بني اسرائيل من يهود ونصارى وغيرهم، وبهذا جزم الحسن البصري ووافقه عليه آخرون، ورجحه ابن القيم في التبيان، وقال:ولا يُلتفت إلى غير ذلك.[٣٦٦]

قال ابن العربي المالكي رحمه الله: وهذا القول أشبه بالحق، وأقرب إلى الصدق، وهو ظاهر الآية.[٣٦٧]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذا هو المعنى الصحيح الذي لا يسوغ القول بغيره.

وقد ذكر المباركفوري رحمه الله ستة أوجه في بطلان القول أنها في آدم وحواء.[٣٦٨]

قال السعدي رحمه الله في توجيه الآية: وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول

٣٦٥ . انظر: إعانة المستفيد للفوزان (٢/٢٧٩)،
٣٦٦ . التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٢٦٣).
٣٦٧ . أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٨٨).
٣٦٨ . تحفة الأحوذي (٨/٣٦٧).

الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل.

ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتاً موقوتاً، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجه سوياً صحيحاً، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. اهـ [٣٦٩]

الوقفة الثانية: في بيان حكم تحريم تعبيد الأسماء لغير الله تعالى.

اتفق المسلمون على أنه يحرم كل اسم معبد لغير الله تعالى، من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك، مثل: عبد الرسول، عبد النبي، عبد علي، عبد الحسين، عبد الأمير –يعني: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه–، عبد الصاحب –يعني: صاحب الزمان المهدي المنتظر–، وهي تسميات الروافض.

وقد غير النبي ﷺ كل اسم معبد لغير الله تعالى، مثل: عبد العزى، عبد الكعبة، عبد شمس، عبد الحارث.

ومن هذا الباب غلام الرسول، غلام محمد، أي: عبد الرسول... وهكذا.

والصحيح في عبد المطلب المنع.

ومن هذا الغلط في التعبيد لأسماء يظن أنها من أسماء الله تعالى وليست كذلك

٣٦٩ . تفسير السعدي (٢١٣)، وانظر: الأضواء للشنقيطي (٢/٢٤٠).

مثل: عبد المقصود، عبد الستار، عبد الموجود، عبد المعبود، عبد الهوه، عبد المرسل، عبد الوحيد، عبد الطالب... فهذه يكون الخطأ فيها من جهتين:

- من جهة التسمية لله بما لم يرد به السَمْع، وأسماؤه سبحانه توقيفية على النص من كتاب أو سنة.
- والجهة الثانية التعبيد بما لم يسم الله به نفسه ولا رسوله ﷺ.[٣٧٠]

٣٧٠ . انظر: تسمية المولود للعلامة بكر أبو زيد (١٩)

بَابُ قول الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون.

وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز.[٣٧١]

وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

مقصود هذا الباب فيما يظهر أمران:

الأول: بيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته، إذ أن الإلحاد في أسماء الله تعالى وهو: الميل بها عن مقصودها لفظاً، أو معنىً، تصريحاً، أو تأويلاً، أو تحريفاً، مُنافٍ للتوحيد، ومن مقصود المؤلف في هذا الكتاب بيان ما يُنافي التوحيد.

والثاني: الرد على من يتوسل بذوات الأموات، وأن المشروع التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العليا، والأعمال الصالحة، لأن مسألة التوسل ضلَّ فيها كثير من الخلق قديماً، وحديثاً.[٣٧٢]

وفي الباب وقفتان اثنتان:

---

٣٧١ . قال الشيخ سليمان في التيسير(٤٨٨): وهذا الأثر لم يروه ابن أبي حاتم عن ابن عباس إنما رواه عن قتادة فاعلم ذلك.

٣٧٢ . انظر: حاشية التوحيد لابن قاسم (٣٣٧)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/ ٢٨٩).

الوقفة الأولى: في كيفية تعظيم أسماء الله الحسنى.

الواجب على الخلق تعظيم أسماء الله الحسنى، وتعظيمها إنما يكون بثلاثة أمور:

العلم بها نفياً وإثباتاً، فنثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا أو أثبته له رسوله ﷺ، وننفي ما نفاه سبحانه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

فهم معانيها، ومدلولها، والعلم بما تضمنته من معاني الجلال والكمال.

دعاء الله تعالى بها، دعاء ثناء، ودعاء مسألة، فنسأله ﷻ بأسمائه وصفاته بما يُوافق المطلوب، كأن يُقال: ربِّ اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها، فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه: فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف.

فمثلا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله، وشوقاً له وحمداً له وشكراً.

وأسماء العز والحكمة والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكسارا بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً، واضطراراً إليه والتفاتاً إليه كل وقت وفي كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص والإيمان الكامل، الذي لا يحصل إلا للكُمل من الموحدين.[٣٧٣]

الوقفة الثانية: في بيان أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى.

الإلحاد في أسماء الله تعالى معناه: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

وهذا العدول أو الميل له أنواع:

أحدها: أن تُسمى الأصنام بأسماء الله تعالى، كما فعل أهل الجاهلية فسموا اللات من الإله، والعُزى من العزيز.

والثاني: تسمية الله سبحانه بما لا يليق بجلاله من الأسماء، كتسمية النصارى له أباً.

٣٧٣ . القول السديد للسعدي (٣٨).

والثالث: وصفه سبحانه بما يتعالى عنه من النقائص، كقول اليهود:إنه فقير.

والرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول الجهمية: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني.

والخامس: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه.

وقد سبق في الباب الأربعين من هذا الكتاب بيان حكم من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

بَابُ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اَللَّهِ

في الصحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: ((**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ**)).[٣٧٤]

مقصود هذا الباب هو صيانة توحيد العبد من بعض الألفاظ التي تُنافي تعظيم العبد لربه جل وعلا، ومن هذه الألفاظ، قول: السلام على الله.

لأن الواجب على الخلق تنزيه الله تعالى عن الحاجة، ووصفه بالغنى والكمال وهذا من واجبات التوحيد.

وقول العبد: السلام على الله، يُوهم بأمرين كلاهما غير جائز في حق الله تعالى، وهما:

يُوهم بجواز النقص في حق الله تعالى.

ويقتضي أننا ندعوا الله لله، وهذا لا يجوز.[٣٧٥]

٣٧٤ . أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)

٣٧٥ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٨٨).

بَابُ قَوْلُ: اَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ)).

ولمسلم: ((وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).[٣٧٦]

مقصود هذا الباب صيانة توحيد العبد من بعض الألفاظ التي تُنافي تعظيم العبد لربه جل وعلا. ومن هذه الألفاظ، تعليق الدعاء بالمشيئة.

إذ أن تعليق الدعاء بالمشيئة فيه من المفاسد الشرعية ما يُنافي كمال التوحيد، كأن يقال: اللهم اغفر لي إن شئت، واللهم ارحمني إن شئت.

ومن المفاسد الشرعية في تعليق الدعاء بالمشيئة ما يلي:

أولاً: أنه يُشعر بأن الله مُكرهٌ على الشيء، وهذا يُؤخذ من قوله ﷺ: ((فَإِنَّ اللَّهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ)).

ثانياً: كأنه يرى أن هذا الأمر عظيم على الله تعالى فقد لا يشاؤه، وهذا المعنى يُؤخذ من قوله ﷺ: ((فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).

ثالثاً: أنه يُشعر باستغناء الداعي عن الله تعالى، وهذا المعنى يؤخذ من قوله ﷺ: ((لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ))، وقوله: ((وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ)).[٣٧٧]

٣٧٦ . البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٨).

٣٧٧ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩١).

بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي**)).[٣٧٨]

مقصود هذا الباب التنبيه على أهمية تعظيم الله جل وعلا، والتحذير من الألفاظ التي تُنافي ذلك التعظيم، ولا يكون توحيد العبد كاملاً إلا بتعظيم الرب ﷻ، ولا يكمل تعظيم الرب إلا إذا احترس العبد من الألفاظ التي تُنافي التعظيم والأدب مع الله تعالى.

ومن الألفاظ التي تُؤثر على كمال التوحيد وتحقيقه ما ورد في حديث الباب.

وقد تكلم أهل العلم على حكم إضافة (الرب) إلى المخلوق.

وخلاصة كلامهم ما يلي:

- **أولاً**: إطلاق لفظ (الرب)، لا يصلح إلا لله جل وعلا، كما أنه لا يجوز أن يقال لأحدٍ إله، فكذلك لا يجوز أن يقال لأحدٍ (الرب).

- **ثانياً**: أما مع الإضافة فإنها على قسمين:

أحدهما: الإضافة إلى المكلف، فحكمها الجواز مع الكراهة، أما الجواز فلقوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾

٣٧٨ . رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

وأما الكراهة فلنهي النبي ﷺ عن ذلك كما في حديث الباب.

وإنما كُره للإنسان أن يقول ذلك، لأنه مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، والعبد والحر فيه بمنزلة واحدة.

وقد بيَّن النبي ﷺ اللفظ الذي لا محظور فيه، وهو أن يقال: سيدي، ومولاي، لأن السيادة راجعة إلى معنى الرياسة على من هو تحت يده، والسياسة له، وحسن التدبير لأمره، ولذلك سُمي الزوج سيداً، قال تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾

والمولى معناه: كثير التصرف، من وليٍّ وناصرٍ، وابن عمٍّ، وحليف، وأصله من ولاية أمره، وإصلاحه.

والثاني: الإضافة إلى غير المكلف، أي: ما لا تَعبُّد عليه من سائر الحيوان والجماد، فلا يمنع منه كقول: ربُّ الدار، وربُّ الدابة والثوب.[٣٧٩]

الوقفة الثانية: حكم قول: عبدي وأمتي؟

اتفق العلماء على أن النهي الوارد في ذلك للتنزيه، قاله الحافظ ابن حجر في الفتح.[٣٨٠]

وقد ذكر بعض أهل العلم أن النهي إنما جاء متوجهاً إلى السيد إذ هو في مظنة الاستطالة، وأما الغير: هذا عبد فلان، وهذه أمة فلان فجائز، لأنه يقوله إخباراً، أو تعريفاً. قال الشيخ سليمان رحمه الله: وهو حسن، وقد رويت أحاديث تدل على ذلك.[٣٨١]

٣٧٩ . انظر: فتح الباري (٥/٢١٣)، وشرح السنة للبغوي (٦/٣٩٨)، وحاشية ابن قاسم (٣٤٥).
٣٨٠ . فتح الباري (٥/٢١١).
٣٨١ . تيسير العزيز الحميد (٤٩٥).

بَابٌ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**)) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.[٣٨٢]

مقصود هذا الباب هو العناية بتعظيم الله تعالى، فكمال التوحيد مرتبطٌ بكمال التعظيم، ومن تعظيم الله تعالى أن لا يُرد من سأل بالله تعالى.[٣٨٣]

وقد تكلم الفقهاء في حكم من سأل بالله تعالى، هل تلزم إجابته؟ أم أن الأمر محمول على الاستحباب؟

وقد ذهب شيخ الإسلام إلى أنه تلزم الإجابة إذا كانت على معين، بخلاف من كان يسأل الناس عموماً، مع قصد الإلزام، لا الإكرام.[٣٨٤]

ووجه عدم لزومها بقصد الإكرام، أن أبا بكر أقسم على النبي ﷺ ليخبره بالصواب، والخطأ لما فسر الرؤيا، فقال له النبي ﷺ: ((**لاَ تُقْسِمْ**)).[٣٨٥]

لأنه ﷺ علم أن أبا بكر لم يَقصد الإقسام عليه، مع وجود المصلحة المقتضية للكتم.

---

٣٨٢ . أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧).

٣٨٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩٦)، وإعانة المستفيد للفوزان (٣١١/٢).

٣٨٤ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٤٩٦)

٣٨٥ . رواه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩).

بَابٌ: لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ)) رواه أبو داود.[٣٨٦]

مقصود هذا الباب بيان أن الواجب على كل مسلم أن يعظم أسماء الله تعالى وصفاته ويحترمها، ومن تعظيمها أن لا يسأل بها شيئاً من المطالب الدنيوية، بل تكون لأهم المطالب وأعظمها وهي الجنة.

وحاصل السؤال بوجه الله تعالى يتلخص في أربعة أوجه:

١. سؤال الله بوجهه أمراً دينياً أو أُخروياً، وهذا صحيح، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال النبي ﷺ: ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)).[٣٨٧]

٢. سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً وهذا غير جائز، وعليه يُحمل حديث الباب.

٣. سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً، وهو غير جائز، وعليه يُحمل ما رواه الطبراني بسند حسن من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: ((مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ

٣٨٦ . أبو داود برقم (١٦٧١)، قال في تيسير العزيز الحميد (٥٠٠): في إسناده سليمان بن معاذ، قال ابن معين: ليس بشيء، وضعفه عبدالحق وابن القطان. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي دود.

٣٨٧ . أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

الله وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ الله ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ هُجْراً)).[٣٨٨]

٤. سؤال غير الله بوجه الله أمراً دينياً.[٣٨٩]

---

٣٨٨ . حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٩٠)

٣٨٩ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٠٠)، وعون المعبود(٥/٦٠)، ومعجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد (١٨٣)، والسلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم (٢٢٩٠)

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي اَللَوْ

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ, وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ; فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ**)).[٣٩٠]

مقصود هذا الباب وجوب لزوم الأدب مع قضاء الله تعالى وقدره، وترك التحسر على الماضي، فلا يتحسر بلو كان كذا لكان كذا وكذا. فالموحد تجده دائم الأدب مع ربه جل وعلا، فعند المصائب صابرٌ، وعند النعماء شاكرٌ، والتوحيد لا يكمل إلا بلزوم الصبر والشكر.

واستعمال (لو) يكون على عدة أوجه:

الأول: أن تستعمل (لو) في الاعتراض على الشرع، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، وهذا أمر محرم.

والثاني: أن تستعمل (لو) في الاعتراض على القدر، كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ

٣٩٠ . أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وهذا أمر محرم أيضاً.

والثالث: أن تستعمل (لو) للندم والتحسر، كما قال ﷺ: ((**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ, وَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَلَا تَعْجَز، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اَللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ; فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ اَلشَّيْطَانِ**)) وهذ أمر محرم أيضاً.

الرابع: أن (لو) تستعمل للتمني، وهذا الاستعمال حكمه حكم المتمنى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.[٣٩١]

٣٩١ . انظر: فتح الباري (٢٣٨/١٣)، وحاشية التوحيد لابن قاسم (٣٥٢) وإعلام الموقعين لابن القيم (٢٠٢/٣)، والقول المفيد للعثيمين (١٢٢/٣).

بَابُ: اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**)) صححه الترمذي.[٣٩٢]

مقصود هذا الباب تتمة لسابقه من وجوب لزوم الأدب مع الله تعالى، ومن الأدب عدم سبِّ الريح، فالريح إنما تهب بأمر الله تعالى، فلا تأثير لها إلا بأمر الله تعالى، فسبُّها سبٌّ لله تعالى، واعتراض على الخالق جل وعلا.[٣٩٣]

ولاشك أن سبَّ الله جل وعلا، أو سبّ ما نهى اللهُ ورسولُه عن سبِّه يُعد من قوادح التوحيد.

والمؤمن الذي يُريد صيانة توحيده من الثلم والنقص، لا يعترض على قضاء الله وقدره، ولا يسبُّه، بل يستسلم لأمر الله الكوني، كما أنه استسلم لأمره الشرعي، مع علمه أن الريح وغيرها من المخلوقات، لا تملك أن تفعل شيئاً إلا بأمر الله سبحانه وتعالى.

٣٩٢ . أخرجه الترمذي (٢٢٥٢).

٣٩٣ . انظر: تيسير العزيز الحميد (٥٠٦).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء، لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة، يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته، وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر، وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم.

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

مقصود هذا الباب هو التنبيه على واجب من واجبات التوحيد وهو حسن الظن بالله تعالى.

وقد ذكر المؤلف عن ابن القيم رحمه الله أن سوء الظن الذي وقع فيه أهل الجاهلية راجع إلى ثلاثة أشياء:

الأول: إنكار حكمة الله تعالى.

والثاني: إنكار القدر.

والثالث: إنكار إتمام أمر الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ، وظهور دينه على الأديان كلها.

والمخرج الذي يضمن للمسلم السلامة من الوقوع في سوء الظن بالله تعالى هو التعرف على الله بأسماءه وصفاته.

قال ابن القيم رحمه الله: ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه، أنه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده، ويقبل توبته، وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود مشاهد فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبداً، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظناً بربه أطوعهم له. كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل.

وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساخطه، وما يغضبه، متعرض للعنته، قد هان حقه، وأمره عليه فأضاعه، وهان نهيه عليه فارتكبه وأصر عليه، وكيف يحسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة، وعادى أولياءه، ووالى أعداءه،

وجحد صفات له، وأساء الظن بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر؟

وكيف يحسن الظن بمن يظن أنه لا يتكلم، ولا يأمر ولا ينهى، ولا يرضى ولا يغضب، وقد قال الله تعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات، وهو السر من القول: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما يعلمون، كان هذا إساءة لظنهم بربهم، فأرداهم ذلك الظن.

وهذا شأن كل من جحد صفات كماله ونعوت جلاله، ووصفه بما لا يليق به، فإذا ظن هذا أنه يدخله الجنة كان هذا غروراً وخداعاً من نفسه، وتسويلاً من الشيطان، لا إحسانَ ظنٍ بربه.

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ

وقال ابن عمر ﷺ: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يُؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي ﷺ: ((**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)) رواه مسلم.[٣٩٤]

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه: يا بُني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا اكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**))؛يا بني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**)).[٣٩٥]

وفي رواية لأحمد: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)).[٣٩٦]

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: ((**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهُ وَشَرِّهُ، أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ**)).[٣٩٧]

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك، حتى تُؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار.

---

٣٩٤ . أخرجه مسلم (٨).

٣٩٥ . أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) وصححه الألباني.

٣٩٦ . أخرجه أحمد (٣١٧/٥)، والترمذي (٣٣١٩) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

٣٩٧ . ابن وهب في القدر (٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١١١) وصححه الألباني.

قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.[٣٩٨]

مقصود هذا الباب هو بيان أن إنكار القدر كفر ينافي أصل التوحيد، وأن من واجبات التوحيد الإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان بالقدر، يتضمن الإيمان بمراتبه الأربعة، وهي:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، أي: الإيمان بعلم الله السابق بالأشياء، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

والثانية: مرتبة الكتابة، أي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا اكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**)).[٣٩٩]

والثالثة: مرتبة المشيئة، وهي عامة، ما من شيء في السموات والأرض إلا وهو كائنٌ بإرادة الله ومشيئته، فلا يكون في ملكه ما لا يريد أبداً، سواءً كان ذلك فيما يفعله بنفسه أو يفعله المخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]

ومن الطرائف أن أعرابياً لجاء لعمرو بن عبيد -وكان عمرو يُنكر المشيئة- فقال له:إن ناقتي سُرقت فادع الله أن يردّها عليّ.

٣٩٨ . أخرجه أحمد (١٨٥/٥)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧) قال المنذري: وفي إسناده أبو سنان سعيد بن سنان, وثقه يحي بن معين وغيره, وتكلم فيه الإمام أحمد وغيره. والحديث صححه الألباني.

٣٩٩ . أخرجه أبو داود (٤٧٠٠).

فقال عمرو: اللهم إن ناقة هذا الفقير سُرقت، ولم تُرد سرقتها، اللهم أرددها عليه.

فقال الأعرابي: يا شيخ الآن ذهبت ناقتي وأيست منها.

قال: كيف؟

قال الأعرابي: لأنه إذا أراد أن لا تُسرق فسرقت، لم آمن أن يُريد رجوعها فلا ترجع؛ ونهض من عنده منصرفاً.[٤٠٠]

والرابعة: مرتبة الخلق، أي أن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢][٤٠١]

٤٠٠ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (٨١٦/٢).

٤٠١ . انظر: القول السديد للسعدي (٤٢)، والقول المفيد للعثيمين (١٦٤/٣-١٦٥).

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ ليخلقوا شَعِيرَةً)) أخرجاه.[٤٠٢]

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ)).[٤٠٣]

ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسً يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ)).[٤٠٤]

ولهما عنه مرفوعاً: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)).[٤٠٥]

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي، ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته.[٤٠٦]

مقصود هذا الباب التحذير من التصوير، لأن التصوير يقدح في التوحيد من وجهين:

---

٤٠٢ . أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).
٤٠٣ . أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٦).
٤٠٤ . أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).
٤٠٥ . أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).
٤٠٦ . أخرجه مسلم (٩٦٩).

الأول: أن المصور جعل فعله نِداً لفعل الله تعالى، وهذا معنى قوله ﷺ: ((**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَة الَّذِينَ يُضَاهِئُون بِخَلْقِ اللَّه**)).

والثاني: أن التصوير وسيلةٌ من وسائل الشرك بالله تعالى.

وقد ذكر أهل العلم أن للتصوير ثلاث حالات:

- **الحالة الأولى**: تصوير الصنم والإله الذي يُعبد من دون الله تعالى، كصنم بوذا، وتمثال المسيح ومريم العذراء، فتصوير هذه الصور كفر أكبر.

- **والثانية**: زعم المصور أن تصويره للصور أحسنُ من خلق الله تعالى، فهذا أيضاً كفر أكبر.

- **والثالثة**: ماعدا هاتين الحالتين مما يُرسم، أو يُنحت فهذا من كبائر الذنوب، وفاعل هذا ملعون متوعد بنار جهنم والعياذ بالله تعالى.[٤٠٧]

٤٠٧ . انظر: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٥٥٩–٥٦٠)

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ الآية.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**)) أخرجاه.[٤٠٨]

وعن سلمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**)) رواه الطبراني بسند صحيح.[٤٠٩]

وفي الصحيح عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**، - قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**)).[٤١٠]

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: ((**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**)).

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.[٤١١]

---

٤٠٨ . البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

٤٠٩ . الطبراني في الكبير (٦١١١)، وفي الصغير (٨٢١).

٤١٠ . أخرجه مسلم (٢٥٣٥).

٤١١ . أخرجه مسلم (٢٥٣٣).

مقصود هذا الباب النهي عن كثرة الحلف، وتأكيد هذا النهي بذكر الوعيد في حق من استهان بذلك، ومما ينبغي أن يعلمه المسلم أن كثرة الحلف لا تجتمع مع كمال التوحيد، وتحقيقه.

وفي حال من وقعت منه اليمين وحلف بالله تعالى، فإن الواجب عليه أن يحفظ يمينه كما أمر الله تعالى بذلك: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] وهذا الحفظ يكون: بحفظها ابتداءً، بعدم كثرة الحلف، وبحفظها وسطاً، بعدم الحنث إلا إذا كان خيراً، وبحفظها انتهاءً بإخراج الكفارة بعد الحِنث.[٤١٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية.

٤١٢ . انظر : القول المفيد للشيخ العثيمين (٣/٢٢١).

بَابٌ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

عن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: ((اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ، أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا)). رواه مسلم.[٤١٣]

مقصود هذا الباب بيان وجوب حفظ ذمة الله تعالى وذمة نبيه، فإن تعظيم الرب وتعظيم شرعه من أهم المقاصد الشرعية، كما أن الواجب على المسلمين البعد والحذر من الأحوال التي يُخشى منها نقض العهود والإخلال بها، بعدما يُجعل للأعداء المعاهدين

٤١٣ . مسلم (١٧٣١).

ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، لأنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه ﷺ وتركاً لتعظيم الله تعالى، وارتكاباً لأكبر المفسدتين كما نبه الرسول ﷺ، مع ما في ذلك من تهوين الإسلام وتزهيد الكفار به، فالوفاء بالعهد وحفظه من محاسن الإسلام التي تدعو الأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه.[٤١٤]

٤١٤ . انظر: حاشية ابن قاسم (٣٨٢)، والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (٥٦٧).

بَابُ: مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**)) رواه مسلم.[٤١٥]

وفي حديث أبي هريرة ﷺ: أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.[٤١٦]

مقصود هذا الباب التنبيه على وجوب التأدب مع الله تعالى في الأقوال والأفعال والأحوال، وأن الواجب على العبد أن يُعامل نفسه بأحكام العبودية، ويُعامل ربه بما يجب له من أحكام الربوبية، والإلهية.

وفي مخالفة ذلك قدحٌ للتوحيد، كمن حلف على الله تعالى على جهة الحجر عليه.[٤١٧]

والإقسام على الله تعالى له حالتان:

إحداهما: أن يكون الإقسام على جهة التكبر، والتجبر، والتألي، فالحجر على الله تعالى، والقطع بحصول المقسَم على حصوله، غير جائز، لأنه منافٍ لكمال التوحيد، منافٍ للأدب مع الله جل وعلا.

---

٤١٥ . مسلم (٢٦٢١).

٤١٦ . أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

٤١٧ . انظر: حاشية ابن قاسم (٣٨٨).

والحالة الثانية: أن يكون الإقسام على جهة حُسن الظن بالله تعالى، فهذا لا بأس به، وهو معنى قول النبي ﷺ: ((**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**)).[٤١٨]

٤١٨ . رواه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

بَابٌ: لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عن جبير بن مطعم ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((**سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ**)). فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ((**وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟، إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**)) وذكر الحديث رواه أبو داود.[٤١٩]

مقصود هذا الباب تعظيم مقام الربوبية، وبيان أن الاستشفاع بالله تعالى على خلقه فيه سوء أدب في حق الله تعالى، والله عَزَّوَجَلَّ أعظم شأناً من أن يُتوسَّل به إلى خلقه، لأن مرتبة المتَوسَّل به غالباً دون مرتبة المتوسَّل إليه، وعليه فإن هضمَ مقام الربوبيةِ قدحٌ في توحيد العبد.[٤٢٠]

٤١٩ . أبو داود (٤٧٢٦)، والحديث استغربه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٣١٠)، وفي إسناده علتان: الأولى: عنعنة ابن إسحاق. والثانية: جهالة جبير بن محمد.

٤٢٠ . انظر: حاشية ابن قاسم (٣٩١)، وإعانة المستفيد للفوزان (٢/ ٤٢٩).

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: ((**السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)) فَقُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: ((**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**)) رواه أبو داود بسند جيد.[٤٢١]

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا تَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيَاطِينُ، أَنَا مُحَمَّدُ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ**)) رواه النسائي بسند جيد.[٤٢٢]

مقصود هذا الباب بيان كيفية حماية النبي ﷺ التوحيد من جهة الأقوال، لأن تمام التوحيد لا يحصل للعبد إلا بالقيام بشروطه، وأركانه، ومكملاته، واجتناب نواقضه ومنقصاته، ظاهراً وباطناً، قولاً، وفعلاً، وإرادة واعتقاداً.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله في الباب الثاني والعشرين كيفية حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد بسده كلَ الطرق الفعلية المفضية للشرك، وذلك بنهيه عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً.

وعليه فإن النبي ﷺ حمى مقام التوحيد بسده كل الطرق القوليه والفعلية المفضية إلى الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر.[٤٢٣]

٤٢١ . أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

٤٢٢ . أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٩)، وجود إسناده الحافظ ابن مفلح في الآداب (٣/٤٦٤).

٤٢٣ . انظر: التعليق المفيد للشيخ ابن باز (٢٧٩)، والقول المفيد للعثيمين (٣/٢٧٦).

بَابُ قول الله تعالى:
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية

عن ابن مسعود ﷺ قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: ((وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا اللَّهُ)).

وفي رواية للبخاري: ((يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ)). أخرجاه.[٤٢٤]

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: ((يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟)).[٤٢٥]

ورُوي عن ابن عباس ﷺ قال: ما السموات السبع، والأرضون السبع، في كف الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم.[٤٢٦]

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني أبي قال:

٤٢٤ . أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
٤٢٥ . أخرجه مسلم (٢٧٨٨).
٤٢٦ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٥).

قال رسول الله ﷺ: ((مَا السَّمَوَاتُ الْسَّبْعِ فِي الْكُرْسِي إِلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ)).[٤٢٧]

قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ، إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الْأَرْضِ)).[٤٢٨]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.[٤٢٩] قاله الحافظ الذهبي رحمه الله، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ)) أخرجه أبو داود وغيره.[٤٣٠]

---

٤٢٧ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٤).

٤٢٨ . أخرجه ابن جرير في التفسير (٥٧٩٤).

٤٢٩ . أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٥٩٤) قال الشيخ ابن باز في التعليق المفيد (٢٨٤): حديث ابن مسعود حديث صحيح جيد.

٤٣٠ . أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣١٧) وقال: حديث حسن غريب، قال الشيخ ابن باز في التعليق (٢٨٤): وإن كان في سنده انقطاع لكنه ينجبر.

ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بهذا الباب، ومقصوده ذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله، وخضوع المخلوقات بأسرها لعِزِه، لأن هذه النعوت العظيمة، والأوصاف الكاملة أكبرُ الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم، وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل. وهذا حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته، والإنابة إليه؛ إنه جواد كريم.[٤٣١]

وكأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يُشير إلى أن الموحد كلما كان عارفاً بالله تعالى وبما له من الأسماء والصفات، كلما كمُل توحيده لربه جل وعلا.

فنجد أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قد بيّن كيف يُعظم الله جل وعلا؟

وذلك بطريقين:

أولاً: بالعلم بما لله من الصفات العظيمة، لأنه لا يُمكن أن تستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حدّ الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتَعرُّفها: هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان.[٤٣٢]

ثانياً: بالتفكر بمخلوقات الله العظيمة التي تدل على بديع صنعه، وإتقانه، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، وقال أيضاً: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ

٤٣١ . القول السديد للسعدي (٤٥).

٤٣٢ . مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٣/٣٢٤).

عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]

والنبي ﷺ كان يحث على التفكر والتدبر فيقول: ((**تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ**)).[٤٣٣]

قال ابن الأثير: (الآلاء) النعم، واحدها ألاً بالفتح والقصر، وقد تكسر الهمزة.[٤٣٤]

٤٣٣ . حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٧٥).

٤٣٤ . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥٣/١).

خَاتِمَةٌ

وأحببت أن أختم الكلام على هذا الكتاب النافع المبارك بما ذكره العلامة السعدي في مقدمة كلامه على كتاب التوحيد حيث قال رحمه الله:

صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال، فيعبدونه وحده، مخلصين له الدين، فيقولون إن الله هو الخالق البارئ المصور الرازق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور، وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء، وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وأنه على العرش استوى، استواء يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن، والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب، وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات، ولا غنى لأحدٍ عنه طرفة عين، وهو الرحمن الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله، فهو الجالب للنعم، الدافع للنقم، ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر. فهو ينزل كما يشاء، ويفعل ما يريد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ويعتقدون أنه الحكيم، الذي له الحكمة التامة في شرعه وفي قدره، فما خلق

شيئاً عبثاً، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم، وأنه التواب العفو الغفور، يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين، وهو الشكور الذي يشكر القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا، والسخط والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء، كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنه لم يزل ولا يزال موصوفاً بأنه يفعل ما يريد ويتكلم بما يشاء، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو الحاكم المالك، ومن سواه مملوك محكوم عليه، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه.

ويؤمنون بما جاء به الكتاب، وتواترت به السنة، أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عياناً جهرةً، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم وألذه، وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلد في نار جهنم أبداً، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة، فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها، ولا يبقى في النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها ، وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقاً، الذي استحق الثواب وسلم من العقاب، ومن انتقص منها شيئاً نقص من إيمانه بقدر ذلك، ولذلك كان الإيمان يزيد بالطاعة وفعل الخير، وينقص بالمعصية والشر.

ومن أصولهم السعي والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا مع الاستعانة بالله، فهم يحرصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله، وكذلك يحققون الإخلاص لله في جميع حركاتهم، ويتبعون رسول الله ﷺ، فالإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين طريقهم.

ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو خاتم النبيين، أُرسل إلى الإنس والجن بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله، ويستعينوا برزقه على ذلك. ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم، وأعظمهم بياناً، فيطيعونه ويحبونه، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم، ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه، ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه، ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد، فهو أعلى الخلق مقاماً ، وأعظمهم جاهاً، وأكملهم في كل فضيلة،لم يبقَ خيرٌ إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرهم عنه. وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، لا يفرقون بين أحد من رسله.

ويؤمنون بالقدر كله، وأن جميع أعمال العباد خيرها وشرها قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، وتعلقت بها حكمته، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيء منها، بل جعلهم مختارين لها، وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين بفضله ونعمته، وولى غيرهم ما تولوه ورضوه لأنفسهم من الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته.

ومن أصول أهل السنة أنهم يدينون بالنصيحة لله ولكتابه ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والمماليك والمعاملين، ومن له حق، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين.

ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، وينهون عن مساوئ الأخلاق وأرذلها، ويعتقدون أن أكمل المؤمنين إيماناً، أعظمهم إيماناً ويقيناً، وأحسنهم أعمالاً وأخلاقاً، وأصدقهم أقوالاً، وأهداهم إلى كل خير وفضيلة، وأبعدهم من كل رذيلة. ويأمرون بالقيام بشرائع الدين،

على ما جاء عن نبيهم فيها وفي صفاتها ومكملاتها، والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها، ويرون الجهاد في سبيل الله ماض مع البر والفاجر، وأنه ذروة سنام الدين، جهاد العلم والحجة، وجهاد السلاح، وأنه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع.

ومن أصولهم الحث على جمع كلمة المسلمين، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض، والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا.

ومن أصولهم النهي عن أذية الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم، والأمر بالعدل والإنصاف في جميع المعاملات، والندب إلى الإحسان والفضل فيها. ويؤمنون بأن أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وأفضلهم أصحاب رسول الله ﷺ، خصوصاً الخلفاء الراشدون، والعشرة المشهود لهم بالجنة، وأهل بدر، وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فيحبون الصحابة ويدينون الله بذلك، وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم، ويدينون الله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى الممات. فهذه الأصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون وإليها يدعون.اهـ[٤٣٥]

تم المقصود من التعليق على هذا الكتاب المبارك

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٤٣٥ . القول السديد للسعدي (٢-٥).

الفهرس

التَّقريب لِمَقاصِد كِتاب التَّوحيد ٥
كِتَابُ التَّوْحِيدِ ٦
بَابُ فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ ١١
بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٩
بَابُ اَلْخَوْفِ مِنْ اَلشِّرْكِ ٢٥
بَابُ: اَلدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ ٣٢
بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ٣٥
بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلْقَة وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ ٣٧
بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِم ٤٨
بَابُ: مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ٥٥
بَابُ: مَا جَاءَ فِي اَلذَّبْحِ لِغَيْرِ اَللَّهِ ٥٨
بَابُ: لاَ يُذبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ٦٤
بَابٌ: مِنْ اَلشِّرْكِ اَلنَّذْرُ لِغَيْرِ اَللَّهِ ٦٦
بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ الله ٦٨
بَابٌ: مِنْ اَلشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اَللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ ٧١
بَابُ قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ٧٥
بَابُ قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ٧٧
بَابُ اَلشَّفَاعَة ٧٩
بَابُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ٨٤
بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ اَلْغُلُوُّ فِي اَلصَّالِحِينَ ٨٧
بَابُ: مَا جَاءَ مِنْ اَلتَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اَللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟! ٩١
بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ اَلْغُلُوَّ فِي قُبُورِ اَلصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اَللَّهِ ٩٦
بَابُ: مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ اَلتَّوْحِيدِ ٩٨

وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ ٩٨
بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ ١٠٠
بَابُ: مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ ١٠٣
بَابُ: بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ١٠٧
بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ ١١١
بَابُ: مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ ١١٦
بَابُ: مُا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ ١١٩
بَابُ: مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ ١٢٧
بَابُ: مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ ١٣٠
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ الآية ١٣٢
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ ١٤٠
بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٣
بَابُ قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١٤٨
بَابٌ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ ١٥١
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ ١٥٥
بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا ١٥٨
من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله ١٥٩
أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا ١٥٩
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآيات ١٦٢
بَابُ: مَا جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ١٦٥
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ١٦٧
بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٧٠
بَابٌ: مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ ١٧٢
بَابٌ: قَوْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ١٧٣
بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ ١٧٥

بَابٌ: التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ ١٧٨
بَابٌ: اِحْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الاِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ ١٨٠
بَابٌ: مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ ١٨١
بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ الآية ١٨٣
بَابُ قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ الآية ١٨٦
بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الآية ١٩٠
بَابٌ لَا يُقَالُ: اَلسَّلَامُ عَلَى اَللَّهِ ١٩٤
بَابٌ قَوْلُ: اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ١٩٥
بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي ١٩٦
بَابٌ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاَللَّهِ ١٩٨
بَابٌ: لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اَللَّهِ إِلَّا اَلْجَنَّةُ ١٩٩
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي اَللَّوْ ٢٠١
بَابٌ: اَلنَّهْيُ عَنْ سَبِّ اَلرِّيحِ ٢٠٣
بَابُ قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية ٢٠٤
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي اَلْقَدَرِ ٢٠٧
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ ٢١٠
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ اَلْحَلِفِ ٢١٢
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اَللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ٢١٤
بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الاِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ ٢١٦
بَابٌ: لَا يُسْتَشْفَعُ بِاَللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ٢١٨
بَابٌ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ اَلنَّبِيِّ ﷺ حِمَى اَلتَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ اَلشِّرْكِ ٢١٩
بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية .. ٢٢٠
خَاتِمَةٌ ٢٢٤